الرقة

فِيمَا جَاءَ فِي الصَّدَقَة



- **اسم الكتاب:** الرقة فيما جاء في الصدقة

- **اسم المؤلف:** فيصل الحاشدي

- **عدد الصفحات:** ٨٧

- **المقاس:** ٥, ١٧ X ٢٥

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

الرِّقَّة

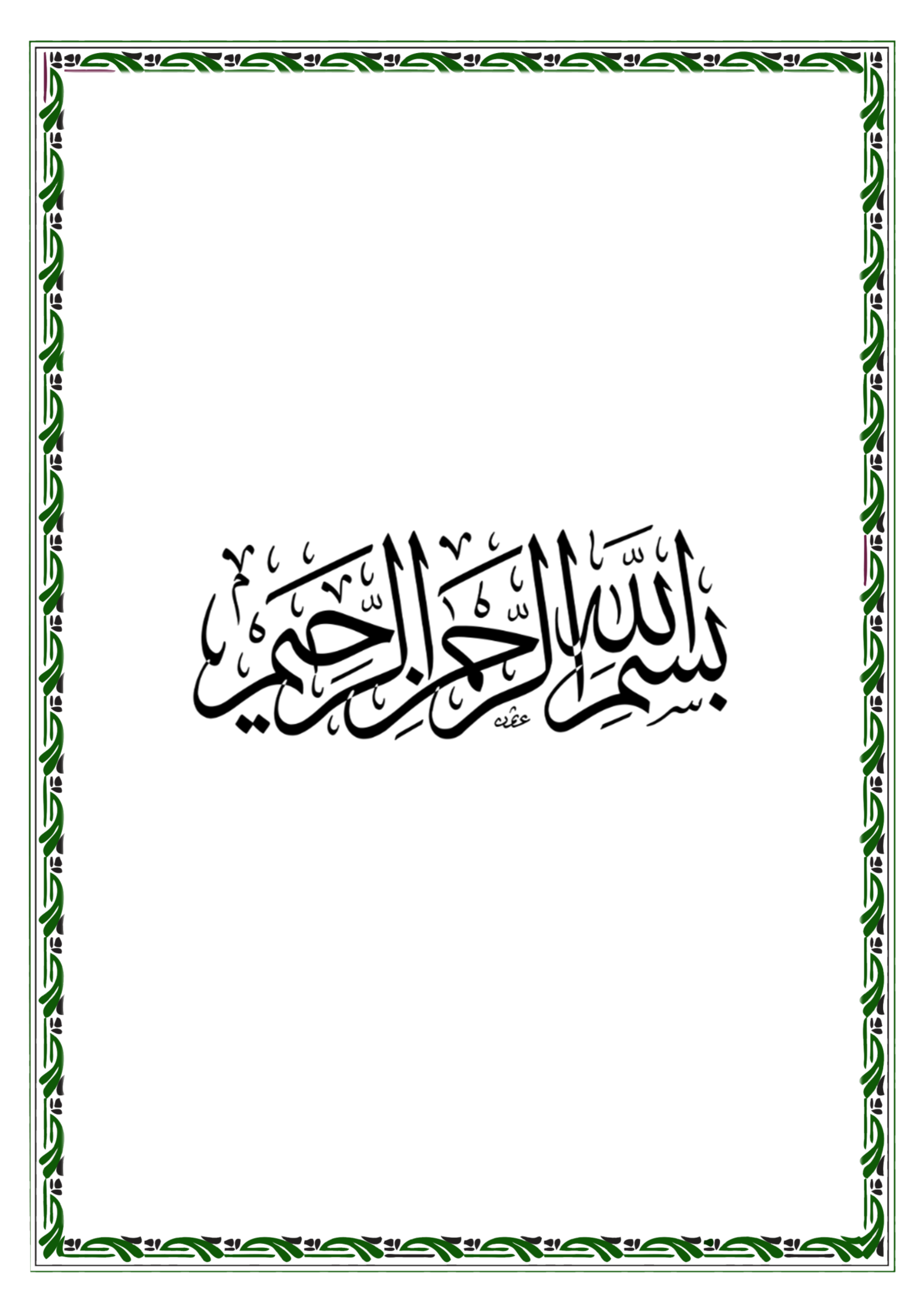
فِيمَا جَاءَ فِي الصَّدَقَة

إِعْدَادُ

أَبِي عَبدِالله

فَيصَل الحَاشِدِي

- حَفِظَهُ الله -


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

هذهِ رسالةٌ بعنوانِ: « **الرِّقَّةُ فيما جاءَ في الصَّدَقَةِ** ».

اشْتَملتْ علىٰ ذكر فضل الصدقة، وأفضلها، وأنواعها، وآفاتها، وختمت بذكر ما كان عليه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من الجود والكرم، قصدت بها ترقيق قلب المسلم علىٰ أخيه المسلم، وشحذ الهمم للتجارة مع الكريم سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، راعيتُ فيها السهولةَ في العبارةِ، والرقةَ في الأسلوبِ، ورجوتُ أَنْ تَبْلُغَ الغَرَضَ، فَإِنْ تحقَّقَ المرادُ فَمِنَ اللهِ وحْدَهُ، ولهُ الحمدُ أولاً وأخيراً، وإن كانتْ الثانيةُ فمِنْ نفسي والشيطانِ، وما علىٰ عَرَجٍ من حَرَجٍ.





تَعْرِيفُ الصَّدَقَةِ

الصَّدقةُ لُغَةٌ:

اسمٌ لما يتصدَّقُ به، وهو مأخوذٌ من مادَّة (ص د ق) التَّي تدل علىٰ قوةٍ في الشيءِ قولًا أو غيرهُ، ومنْ ذلكَ أخَذَ الصَّدْق لقوَّتِهِ في نَفْسِهِ، ومِنْ الصِّدقِ أخذت الصَّدَقَةَ؛ لأنَّها تدل علىٰ صدقِ العبوديَّةِ للهِ - تعالىٰ - والصَّدقةُ ما تَصَدَّقَتَ به علىٰ الفقراءِ (أو المساكين).

والمتصَدِّقُ: هو الَّذِي يعطي الصدقةَ، ولا يُقالُ ذلك للذي يَسألُ الصدقةَ ليأخذها، والْعَامَّةُ تغلطُ في ذلكَ، وقال بعضُ أهلِ اللغةِ: أَن المتصدِّقَ يُقالُ للاثنين جميعًا أي الذي يعطي الصَّدَقَةَ والَّذي يَسْأَلُهَا.(١)

واصطلاحًا:

قال الجرجانيُّ: هي العطيَّةُ يبتغي بها المثوبة من الله - تعالىٰ -.

وقال الراغبُ: ما يخرجهُ الإنسانُ من مالِهِ علىٰ وجهِ القربةِ كالزكاةِ، لكنَّ الصَّدقة في الأصل تُقَالُ للمتطوَّعِ بِهِ، والزَّكاةُ للواجبِ.(٢)

---

(١) انظر مقاييس اللغة (٣/ ٣٣٩)، والصحاح (٤/ ١٥٠٦)، ولسان العرب (ص ٢٤١٩).

(٢) التعريفات للجرجاني (١٣٨)، والمفردات للراغب (٢٧٨)، والتوقيف علىٰ مهمات التعريف (٢١٤).

وقال التهانويُّ: « الصدقة عطيَّة يراد بها المثوبة لا التكرمة: لأنه بها يظهر الصدقُ في العبوديةِ، وهي أعم من الزكاةِ، وقد تطلقُ عليها - أيضًا -»[١].

والمرادُ مِنْ هذه الرسالةِ صدقةُ التطوعِ، لا الصدقةُ الواجبةُ.



(١) كشف اصطلات الفنون للتهانوي (٤/ ٢٦٠).

١- النيَّةُ تُبْلِّغُ العبدَ مرتبةَ المُتَصَدِّقين

جَاءَ فِي "سُنَنِ الترمذيِّ"[(١)] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ؛ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ. فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ. فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**».

۞ **الشرحُ:**

دَلَّ الحديثُ علىٰ فَضْلِ النيَّةِ الصادقةِ، وأَنَّ العبدَ يبلُغُ بها مراتبَ العاملين وإنْ لم يعملْ عَمَلَهم، وفي "صحيحِ مسلمٍ"[(٢)] من حديثِ سَهْلِ بْنِ حنيفٍ عن أبيهِ عن جَدِّهِ، أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ**».

---

(١) أخرجهُ الترمذيُّ (٢٣٢٥)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في "صحيحِ الجامعِ" (٣٠٢٤).

(٢) رواهُ مسلمٌ (١٩٠٩).

واعلَمْ بـأَنَّ الأجـرَ لـيس بحاصِـلٍ　　لابُـــدَّ مـــن إخلاصِـــهِ ونقائِـــهِ

وكـــذا متابعـــةُ الرســـولِ فإنهـــا　　شــرطٌ بحكْــمِ نبِّينــا العــدناني[١]

- وقال أستاذنا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

تَمَــــنَّ إذا لــــم تكــــنْ قــــادرًا　　علــىٰ فعــلِ مــا يفعــلُ القــادرون

إذا صــــدقَتْ نِيَّــــةُ العبــــدِ نــــالَ　　مــن الأجــرِ مــا نالَــهُ المحســنون



(١) الشاملُ في فِقْهِ الخطيبِ (١٤).



٢- التَّصدُّقُ من الحلالِ الطَّيِّبِ

جَاءَ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ"(١) مِنْ حَدِيْثِ مُصْعَبِ بنِ سَعْدٍ قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ عَلَىٰ ابْنِ عَامِرٍ يَعُودُهُ، وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقَالَ: أَلَا تَدْعُو اللهَ لِي يَا ابْنَ عُمَرَ؟ قَالَ: إِنِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ**».

۞ الشرحُ:

دلَّ الحديثُ علىٰ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ طَيِّبٌ لا يقْبَلُ إلا طيبًا فلا يَقْبَلُ صدقةً من غُلولٍ وهو السَّرِقَةُ من مالِ الغنيمةِ، و هذا عامٌّ في كُلِّ مالٍ حرامٍ، ولا أجْرَ فيه ويشهَدُ له ما جاء في صحيحِ ابنِ حبَّانَ(٢) من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أدَّيْتَ زكاةَ مالِكَ فقد قَضَيْتَ ما عليكِ فيه، ومَنْ جَمَعَ مالاً حراماً ثم تصدَّقَ به، لم يَكُنْ له فيه أَجْرٌ، وكان إصْرُهُ عليهِ**».

إذا حَجَجْتَ بمالٍ أصلُهُ دَنَسٌ ... فما حَجَجْتَ ولكنْ حَجَّتِ العِيرُ
لا يقبلُ اللهُ إلاّ كلَّ طَيِّبَةٍ ... ما كلُّ مَنْ حَجَّ بيتَ اللهِ مَبْرُورُ (٣)

---

(١) رواهُ مسلمٌ (٢٢٤).

(٢) صحيحُ ابنِ حِبَّانَ (٣٢١٦) وحسَّنَهُ الألبانيُّ في التعليقاتِ الحِسَانِ (٥/ ١٦١).

(٣) ديوانُ أبي الشَّمَقْمَقِ (٢٧).

وقال أستاذنا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

كُـــلُّ مـــا ترجـــوهُ أَخْـــذًا ... رُدَّه في النـــــاسِ بَـــــذْلًا

أخْبَـــثُ الأنفـــسِ طبعًـــا ... مَـــنْ تـــرىٰ للشُّـــحِّ فضـــلًا





٣- الصدقةُ تجارةٌ مع اللهِ

جَاءَ فِي "الصَّحِيْحِيْنِ"(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ لِي: أَنْفِقْ؛ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**».

الشرحُ:

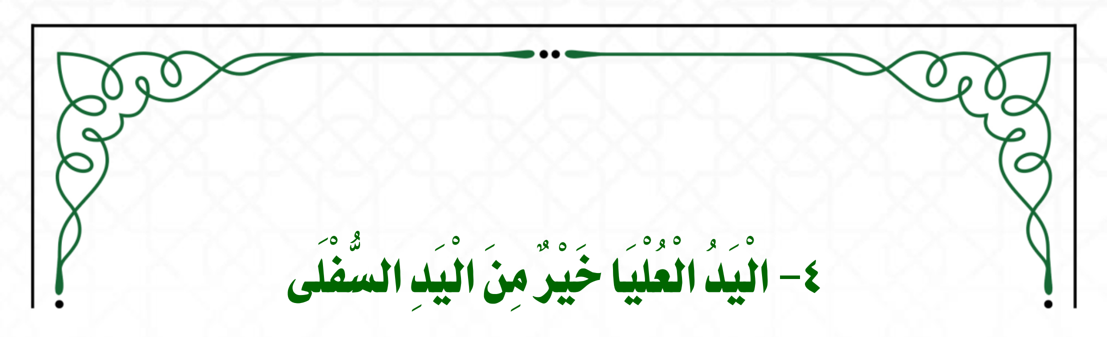
دَلَّ الحديثُ على فَضْلِ الإنفاقِ في وُجُوهِ البِرِّ والخيرِ، ومعنى أُنْفِقْ عليك أي: أُعَوِّضْهُ لك، وأُعْطِكَ خَلَفَهُ، بل أكثَرَ أضعافًا مضاعَفةً، وهو معنى قولِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ﴾ [سورة سبأ: ٣٩].

يـــا أيهـــا المُمْسِـــكُ البَخيـــلُ	إلا هُــــك المنفـــقُ الكفيـــلُ
أنفـــقْ وثِـــقْ بالإلـــهِ تـــربَحْ	فـــإنَّ إحســـانَهُ جَزيـــلُ(٢)



(١) رواهُ البخاريُّ (٧٤١٩)، ومسلمٌ (٩٩٣)، واللفظُ له.

(٢) نَفْحُ الطِّيْبِ (٥/ ٤٤٢).



٤- اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى

جَاءَ فِي "الصَّحِيْحِيْنِ"(١) مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ وَالْمَسْأَلَةَ: «**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ، فَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَىٰ هِيَ السَّائِلَةُ**».

الشرحُ:

قولُهُ: «**اليدُ العُلْيا**»، أي: اليدُ المرتَفِعةُ في القَدْرِ والمَوْضِعِ حيثُ تكونُ يدُ المُعْطِي عادةً فوْقَ يَدِ الآخِذِ «**خيرٌ**»، أي: أفْضَلُ «**مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ**»، أي: اليَدِ الَّتِي تكونُ أسْفَلَ من غيرِها في المَكانَةِ والمَكانِ حيث تكونُ يدُ الآخِذِ أسْفَلَ مِن يَدِ المُعْطي.

وقد استخلصَ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ من صحيحِ الآثارِ أَنَّ الأيديَ خمسٌ: أعلاها المنفقةُ، ثمَّ المُتَعفِّفةُ عن الأَخْذِ، ثمَّ الآخذةُ بغيرِ سؤالٍ، وأسفلُها السَّائلةُ، والمانعةُ(٢).

إذا المرءُ لـم يُعْتِـقْ مـن المـالِ نفسَـه ... تَملَّكَـهُ المـالُ الـذي هـو مالِكُـهْ
ألاَ إِنَّمـا مـالي الـذي أنـا مُنفِـقٌ ... ولـيس لِـيَ المـالُ الـذي أنا تارِكُـه
إذا كنـتَ ذا مـالٍ فبـادِرْ بـهِ الـذي ... يَحِـقُّ وإلاّ استهلَكَتْهُ مَهَالِكُـهُ(٣)

---

(١) رواهُ البخاريُّ (١٤٢٩)، ومسلمٌ (١٠٣٣) واللفظُ لَهُ.

(٢) فتحُ الباري (٣/ ٣٥٠).

(٣) التذكرةُ الحمدونيَّةُ (٢/ ٣٢٨).



٥- الصدقة يأخذها اللهُ بيمينه

جَاءَ فِي "الصَّحِيْحِيْنِ"(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَىٰ اللهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ**».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ عِظَمِ مِنَّةِ اللهِ تعالىٰ وكَرَمِهِ لِمَنْ تَصَدَّقَ مِنْ كَسْبٍ طيِّبٍ، فيتقبَّلُها بِيَمينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيها لصاحِبِها إلىٰ يومِ يلقاهُ.

فقولُهُ: «**مَنْ تصدَّقَ بعَدْل**»، أي: ما يساوِي ويُعادِلُ، أو قِيمَةِ «**تَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طيِّبٍ**» حلالٍ، «**ولا يَصْعَدُ إلىٰ الله إلَّا الطَّيِّبُ**» أي: لا يَقْبَلُ اللهُ تعالىٰ إلَّا الحلالَ، «**فإنَّ الله يتقبَّلها بِيَمِينِهِ**»، أي: بِيَدِه اليُمْنَىٰ كَرامةً لها، وكِلْتَا يَدَيْه تعالىٰ يَمِينٌ مبارَكةٌ، «**ثُمَّ يُرَبِّيها**»، أي: يُنَمِّيها ويعظِّمُها «**لصاحِبِها، كما يُرَبِّي أحدُكم فَلُوَّهُ**» وهو المُهْرُ، أي: الصَّغيرُ من الخَيْلِ الَّذِي يَحتاجُ للرِّعايةِ والتربِيَةِ، «**حتَّىٰ تكونَ مِثْلَ الجَبَلِ**» حَجْمًا وثِقَلًا يومَ القيامةِ.

(١) رواهُ البخاريُّ (١٤١٠)، واللفظُ لهُ، ومسلمٌ (١٠١٤).

لا تــبخلنَّ بــدنيا وهــي مقبلــةٌ فلــيسَ ينفــدُها التبــذيرُ والسَّــرَفُ
وان تولّــتْ فــأَحْرىٰ أن تجــودَ بهــا فالحمدُ منها إذا مـا أَدْبَـرَتْ خَلَـفُ[١]



(١) التذكرةُ الحمدونيةُ (٢/ ٢٦٨).

٦- الصدقَةُ تزيدُ في المالِ

جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[١] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِن مالٍ، وما زادَ اللهُ عَبْدًا بعفْوٍ، إلَّا عِزًّا، وما تَواضَعَ أحَدٌ لِلَّهِ إلَّا رَفعَهُ اللهُ**».

۞ الشَّرحُ:

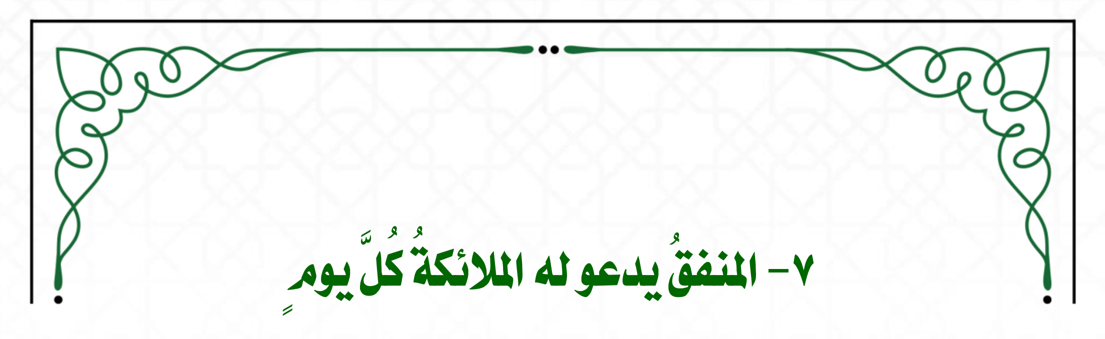
دَلَ الحدِيْثُ علىٰ أنَّه ما نَقَصَتْ صَدقةٌ مِن مالٍ، أي: ما نَقَصَتْ صدقةٌ مالًا، أو بعضَ مالٍ، أو شيئًا مِن مالٍ، بَلْ تَزيدُ أضعافَ ما يُعطَىٰ منه بأنْ يَنجبِرَ بالبركةِ الخفيَّةِ، أوْ بِالعطِيَّةِ الجليَّةِ، أو بِالمثُوبةِ العلِيَّةِ. وأنَّه ما زادَ اللهُ عبدًا بِعفوٍ، أي: بِسببِ عَفوِهِ عَنْ شيءٍ مَعَ قدرتِهِ علىٰ الانتقامِ إلَّا عِزًّا وسيادةً وعَظمَةً في القلوبِ. وأنَّه ما تَواضَعَ أحَدٌ لِلَّهِ بأنْ أَنزَلَ نفْسَه عَنْ مَرتبةٍ يَستحِقُّها؛ لِرجاءِ التَّقرُّبِ إلىٰ اللهِ دُونَ غَرَضٍ غيرِهِ، إلَّا رفَعَهُ اللهُ تعالىٰ؛ إمَّا رَفعَهُ في الدُّنْيا أوْ رَفعَهُ في الآخِرةِ أو في الاثنينَ.

وقالوا ادَّخِرْ ما حُزْتَهُ وجمعتَهُ ... لِعِقْبِكَ إنَّ الحزمَ أَدْنَىٰ من الرَّشَدْ
فقلتُ سأُمْضِيْهِ لنفسي ذَخيرةً ... وأجعلُ ربّي الذُّخْرَ للأهلِ والوَلَدْ[٢]



(١) رواهُ مسلمٌ (٢٥٨٨).

(٢) محاضراتُ الأُدباءِ (١/ ٦٦٣).



٧- المنفقُ يدعو له الملائكةُ كلَّ يومٍ

جَاءَ فِي "الصَّحِيْحِيْنِ"(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**».

الشرحُ:

حَثَّ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديثِ علىٰ الصدقَةِ، وإنفاقِ الرَّجُلِ علىٰ عيالِهِ وعلىٰ أهلِ بيتِهِ داخلٌ في النفقةِ، بل هي نفقةٌ واجبةٌ متعيِّنَةٌ، وليسَ أجرُ الفريضةِ والنافلةِ بسوَاءٍ.

قال ابنُ بطالٍ: « معنىٰ هذا الحديثِ: الحَضُّ علىٰ الإنفاقِ في الواجباتِ، كالنفقةِ علىٰ الأهلِ وصِلةِ الرَّحِمِ، ويدخلُ فيه صدقةُ التَطَوُّعِ، والفَرْضِ »(٢).

وقال القرطبيُّ: « وهو يَعُمُّ الواجباتِ، والمندوباتِ، لكنِ المُمْسِكَ عنِ المندوباتِ: لا يستحِقُّ هذا الدعاءَ، إلا أَنْ يغلِبَ عليه البُخْلُ المذمومُ، بحيثُ لا تَطِيبُ نفسُهُ بإخراجِ الحَقِّ الذي عليه، ولو أَخْرَجَهُ »(٣).

---

(١) رواهُ البخاريُّ (١٤٤٢)، ومسلمٌ (١٠١٠).

(٢) شرحُ صحيحِ البخاريِّ (٣/ ٤٣٩).

(٣) فتحُ الباري (٣/ ٣٠٥).

بُشـراكَ يـا منفـقَ الأمـوالِ بـالخَلَفِ   وعْــدًا مــن اللهِ حقًّــا غيــرَ مُخْتَلِــفِ

في كـلِّ يـومٍ ينـادي في الـورىٰ مَلَـكٌ   وآخــرٌ بنــداءِ وهــو غَيْــرُ خَفِــي

يـا رَّبِّ يـا ربَّنـا ارْزُقْ مُنْفِقًـا خَلَفًـا   واحكمْ علىٰ مُمْسِكِ الأموالِ بـالتَّلَفِ[1]



(١) موسوعةُ الشِّعْرِ (٩٠/ ٤٠).



٨- تَصَدُّقُ المرأةِ من طعامِ بيتِها

جَاءَ فِي "الصَّحِيْحِيْنِ"[١] مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ، وَلِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا كَسَبَ، وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ، لَا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ أَجرَ بَعْضٍ شَيْئًا**».

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ جَوازِ تَصَدُّقِ المرأةِ من طعامِ بيتِها، بخِلافِ المالِ؛ فإنَّهُ لا يجوزُ إلا بِإِذْنِ الزوجِ، وقولُهُ: «**غيرَ مُفْسِدَةٍ**» أي: لا تتعدَّىٰ الكَثْرَةَ المُفْسِدَةَ المؤدِّيةَ إلىٰ حِرمان أهلِ البيتِ فلا إفراطَ، ولا تَفْرِيطَ.

قال ابنُ بطالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: « فأخبرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها تؤجَرُ علىٰ ذلك، ويؤجَرُ زوجُها بما كَسَبَ، ويؤجَرُ الخادِمُ المُمْسِكُ لذلك، وهو الخازنُ المذكورُ في الحديثِ، ألا إنَّ مقدارَ أَجْرِ كُلِّ واحدٍ منهم لا يعلمُهُ إلا اللهُ، غيرَ أَنَّ الأظهرَ أَنَّ الكاسِبَ أعظمُ أَجْراً »[٢].

---

(١) رواهُ البخاريُّ (١٤٢٥)، ومسلمٌ (١٠٢٤).

(٢) شرحُ البخاريِّ (٣/ ٤٢٦).

أَرِينـي جَـواداً مـاتَ هُـزْلا لعلَّنـي ... أَرَىٰ مـا تَـرَيْنَ أو بخـيلاً مُخلَّـدا

ذَرِينـي أَكُـنْ للمـال ربًّـا ولا يَكُـنْ ... لي المالُ ربًّـا تَحَمـدي غِبَّـهُ غَـدا(١)

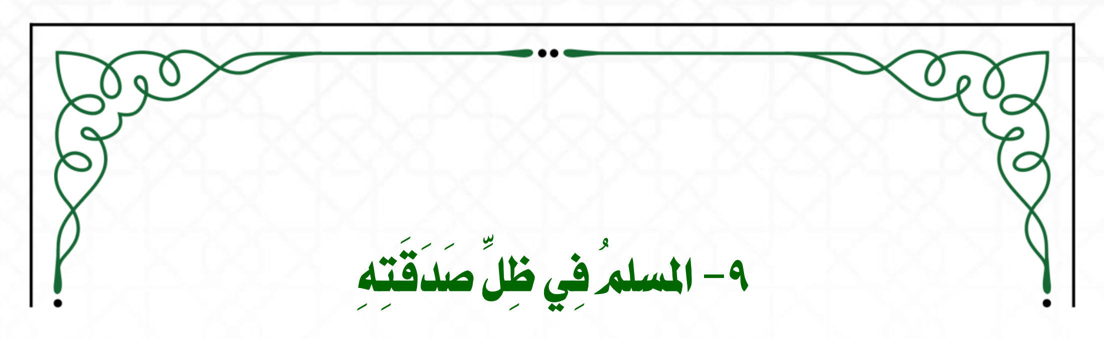
- وقالَ أسَتاذُنا عبدالكريم العماد - حفظه الله -:

لهـا طيـبُ نفـسٍ حـينَ تنفـقُ مالَهـا ... كـأَنَّ مُناهـا حـينَ تُعطـي وتبـذلُ

تُبادِرُنـا بـالجودِ دونَ سـؤلِها ... فكيـفَ إذا مـا جاءَهـا المـرْءُ يسـألُ



(١) الأشباهُ والنظائرُ (٢٠).



٩- المسلمُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِه

جَاءَ فِي مُسندِ أحمدٍ بسندٍ صحيحٍ[١] مِنْ حَدِيْثِ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّىٰ يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ** - أَوْ قَالَ: **يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ** -».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ المسلمَ يكونُ يومَ القيامةِ في ظِلِّ صدَقتِهِ حقيقةً، قالَ المباركفوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحَمْلُ علىٰ الحقيقةِ هو المُعْتَمَدُ»[٢].

وقال ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «"**فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ**" ... والصدقةُ قد تكونُ ظِلًا، فإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادرٌ علىٰ أن يجعَلَ المعانيَ أعيانًا، والأعيانَ معانيَ، فهذه الصدقةُ، وإنْ كانت عَمَلًا مَضَىٰ، وانْقَضَىٰ وهو فِعْلٌ من أفعالِهِ؛ لكنَّ المتصدَّقَ به شيءٌ محسوسٌ، قد يؤتَىٰ به يومَ القيامةِ بصفةِ شيءٍ محسوسٍ....

---

(١) رواهُ الإمامُ أحمدُ في "المسنِدِ" (٢٨/ ٥٦٨) وغيرُهُ، وصحَّحَهُ مُحقِّقُو المُسْنَدِ، والشيخُ الألبانيُّ في "تخريجِ أحاديثِ مُشْكلةِ الفقرِ" (ص ٧٥).

(٢) "مرعاةُ المفاتيحِ" (٦/ ٣٦١).

ففي هذا الحديثِ دليلٌ علىٰ فضيلةِ الصَّدَقَةِ، وعلىٰ أنها تكونُ يومَ القيامةِ ظِلًا لصاحِبِها، وأنها تكونُ ظِلًّا في جميعِ يومِ القيامةِ، حتىٰ يُفْصَلَ بينَ الناسِ»[١].

وقالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « جاءَ في الحديثِ الشريفِ: «**كُلُّ امرئٍ في ظلِ صدقتِهِ يومَ القيامةِ**» فالصدقاتُ تُظَلِّلُ صاحِبَها يومَ القيامةِ وقد ذُكِرَ أَنَّ رَجُلًا في المنامِ رأىٰ أن القيامةَ قد قامَتْ وإذا بِظِلٍّ يُظَلِّلُ عليهِ إلا أَنَّ فيه ثلاثةَ ثُقُوبٍ تَدْخُلُ منها الشمسُ وإذا بثمراتٍ تأتي تَلْصَقُ هذه الثقوبَ ثم قامَ فسأَلَ زوجَتَهُ عن هذهِ الرؤيا فقالَتْ: نَعَمْ إنه كانَتْ قد جاءَتْني فقيرةٌ أو قالتْ: فقيرٌ واعطيتُها ثلاثَ تَمْرَاتٍ فهذه التَّمْراتُ سَدَّتْ هذه الثقوبَ التي في هذا الكِساءِ الذي ظُلِّلَ به يومَ القيامةِ »[٢].

يـا رُبَّ عاذلـةٍ في الجـودِ قلـتُ لهـا   قلـي علـىٰ اللهِ فيمـا أُنْفِـقُ الخَلَفَـا

هل مـن بخيـلٍ رأيـتِ المـالَ أخْلَـدَهُ   أم هَلْ رأيـتِ جـوادًا مَيِّتًـا عَجَفَـا[٣]

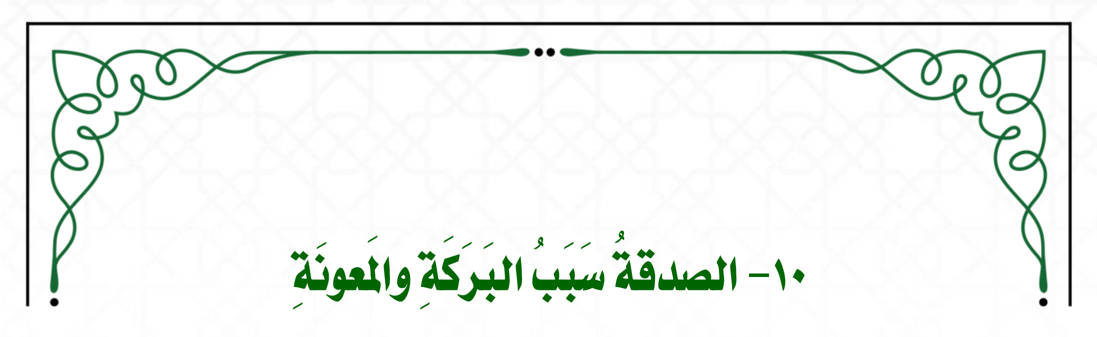


---

(١) "شرحُ بلوغِ المَرامِ" (٣/ ١٠٢).

(٢) المرجعُ السابقُ (٥/ ١٩).

(٣) روضَةُ العقلاءِ (٢٣٦).



١٠- الصدقةُ سَبَبُ البَرَكَةِ والمَعونَةِ

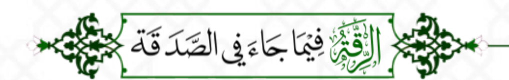
جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. فَتَنَحَّىٰ ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ. لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ**».

۞ **الشرحُ:**

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ الصَّدَقَةَ سببُ البركةِ، والمعونةِ من اللهِ في الزراعةِ، والتجارةِ، وغير ذلك من وسائلِ الرِّزْقِ المشروعةِ، كما أَنَّ البُخْلَ سببُ مَحْقِ البركةِ من ذلكَ كُلِّهِ، ألا ترىٰ كيفَ تَوجَّهَ الغَيْثُ بأَمْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلىٰ حيثُ حديقةُ المُتَصَدِّقِ دونَ غيرِها، وقدْ رأيتَ أن الرجلَ سِمَعَ اسمَ صاحِبِ الحديقةِ من السحابةِ، فدفعَهُ الفضولُ

---

(١) رواهُ مسلمٌ (٢٩٨٤).



إلىٰ معرفَةِ السببِ، فكانَ جوابُ صاحِبِ الحديقةِ شفاءً لما في نفسِهِ، فاخبرَهُ بأنه ينظرُ إلىٰ ما يخرجُ من أرضِهِ فيتصدَّقُ بالثُّلُثِ، ويأْكُلُ هو وعيالُهُ الثُّلُثَ، ويردُّ فيها الثُّلُثَ، فلو أَنَّ كُلَّ صاحِبِ زراعةٍ صنَعَ كما صَنَعَ الرجلُ لأصبحتْ الأرضُ خَضْراءَ مورقةً، ولو أَنَّ كُلَّ صاحِبِ تجارةٍ، أو صناعةٍ صَنَعَ بمالِهِ كما صَنَعَ صاحبُ الحديقةِ لَعَمَّتْ الخيراتُ كُلَّ بَلدٍ، وحَلَّتْ البركاتُ كُلَّ بيتٍ، وأرسلتْ السماءُ بِرَكَتَها، وأخرجَتْ الأرضُ خيراتِها، لكنَّ المُوَفَّقَ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ.

يـا جـامِعَ الْمـالِ في الـدُّنْيا لِوارِثِـهِ ... هَلْ أَنْتَ بِالْمـالِ بَعْـدَ الْمَـوْتِ تَنْتَفِـعُ

لا تُمْسِكِ الْمالَ واسْتَرْضِ الإِلـهَ بِـهِ ... فـإِنَّ حَسْـبَكَ مِنْـهُ الـرِّيُّ والشِّـبَعُ[1]



(١) القصائدُ الزهديةُ (٢/ ٣٢٣).



١١- الصدقةُ سَبَبُ النجاةِ من النارِ

جَاءَ فِي "الصَّحِيْحِيْنِ"(١) مِنْ حَدِيْثِ عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ؛ فَلْيَفْعَلْ**».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ الصدقةَ وقايةٌ من النارِ، وأَنَّهُ يجبُ علىٰ المسلمِ أن يَقِيَ نَفسَهُ من النارِ ولو بالشيءِ اليسيرِ؛ لأَنَّ الشيءَ اليسيرَ إذا كان خالصًا للهِ فإنه عند اللهِ لَعظيمٌ.

فلا تُطِعْ في سبيلِ الصدقةِ عاذلاً من نفسٍ أو أهلٍ، وبعضُ النساءِ يُحَرِّضْنَ الأزواجَ علىٰ البُخْلِ، وهذا لا يَحْسُنُ ولا يَجْمُلُ.

ألاَ بَكَرتْ عِرْسِي تَلُومُ سَفاهةً ... علىٰ ما مضَىٰ مِنِّي وتأْمُرُ بالبُخْلِ

فقلتُ لها والجودُ منِّي سَجِيَّةٌ ... وهل يَمْنَعُ المعروفَ سُؤَّالَهُ مِثلي؟

ذَرِيني فإنّي غيرُ تارِكِ شِيمتِي ... ولا مُقْصِرٍ عن السَّماحةِ والبَذْلِ(٢)



---

(١) رواهُ البخاريُّ (١٤١٧)، ومسلمٌ (١٠١٦) واللفظُ لَهُ.

(٢) التذكرةُ الحمدونيةُ (٩/ ١٩٤).

١٢- الصدقَةُ سَبَبٌ في دَفْعِ البلاءِ من المرضِ ونحوهِ

جَاءَ فِي سنَنِ الترمذيِّ[١] مِنْ حَدِيْثِ الْحَارِثَ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا»، فذكرَ منها: «... وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ. فَفَدَىٰ نَفْسَهُ مِنْهُمْ».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ الصَدقةَ يدفَعُ اللهُ بها أنواعًا من البلاءِ، وهذا لا يَخْفَىٰ علىٰ كُلِّ ذي لُبٍّ، بل هذا أمرٌ معلومٌ عند أهلِ المِلَلِ والنِّحَلِ.

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: « للصدقة تأثيرٌ عجيبٌ في دَفْعِ أنواعِ البلاءِ، ولو كانَتْ من فاجرٍ أو ظالمٍ، بل مِن كافرٍ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ يدفَعُ بها عنه أنواعًا من البلاءِ، وهذا أمرٌ معلومٌ عند الناسِ، خاصَّتِهِمْ وعامَّتِهِم، وأهلُ الأرضِ كلُّهم مُقِرُّون به؛ لأَنَّهم قد جرَّبوهُ »[٢].

---

(١) أخرجَهُ الترمذيُّ (٢٨٦٣)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في "صحيحِ الجامِع" (١٧٢٤)، وشيخُنا الـوادعيُّ في "الصحيحِ المُسْنَدِ" (٥٨٥).

(٢) الوابلُ الصَّيِّبُ (٣١).

وقال أيضـًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ها هنا من الأدوية التي تشفي من الأمراضِ ما لم يهتدِ إليها عقولُ أكابرِ الأطباءِ، ولم تصِلْ إليها علومُهُم، وتجاربُهم، وأَقْيَسِتُهم من الأدويةِ القلبيةِ، والروحانيةِ، وقوةِ القلبِ واعتمادِهِ علىٰ اللهِ والتوكُّلِ عليه، والالتجاءِ إليهِ، والانطراحِ والانكسارِ بين يَدَيْهِ، والتذلُّلِ له، والصدقةِ، والدعاءِ، والتوبةِ والاستغفارِ، والإحسانِ إلىٰ الخلقِ، وإغاثةِ الملهوفِ، والتفريجِ عن المكروبِ؛ فإنَّ هذهِ الأدويةَ قد جرَّبَتْها الأممُ علىٰ اختلافِ أديانِها وملَلِها، فوجدوا لها من التأثيرِ في الشفاءِ ما لا يَصِلُ إليه علمُ أَعْلَمِ الأطباء، ولا تَجْرِبَتُهُ، ولا قياسُهُ؛ وقد جَرَّبْنا نحنُ وغيرُنا من هذا أموراً كثيرةً ورأيناها تفعلُ ما لا تفعلُ الأدويةُ الحِسِّيَّةُ! »(١).

إذا تكرَّمْتَ عن بَذْلِ القليلِ ولم ... تقدرْ علىٰ سَعَةٍ لم يظهرِ الجُودُ
بُثَّ النوالَ ولا يَمْنَعْكَ قِلَّتُهُ ... فَكُلُّ ما سَدَّ فَقْرًا فهو محمودُ(٢)

- وقال أستاذنا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

قد تُنْفِقُ المالَ الكثيرَ تداويًا ... ودواءُ دائِكَ في عَطاءِ فَقيرِ
ولَرُبَّ قَصْرٍ ليس فيهِ سعادةٌ ... وترىٰ السعادةَ في افتراشِ حَصيرِ



(١) زادُ المَعَادِ (٤/ ١٠ - ١١).

(٢) الأمالي (٢/ ١٣٧).

١٣- الصدقةُ دليلٌ على صِدْقِ الإيمانِ

جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[١] مِنْ حَدِيْث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ، أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**».

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ الصدقةَ برهانٌ، والبرهانُ هو الشُّعاعُ الذي أمامَ قُرْصِ الشمسِ، أي أنها أَدَلّ علىٰ إيمانِ صاحِبِها من ذلك الشعاعِ الذي يَدُلُّ علىٰ الشمسِ؛ لأَنَّه حينما أنفَقَ في سبيلِ اللهِ جُزْءًا اقتطعَهُ من مالِهِ، عَلِمَ يقينًا أن اللهَ سيُثيبُهُ عليه في الآخرةِ، فدلَّ ذلك علىٰ صِدْقِ إيمانِهِ، واللهُ أعلمُ.

قُـلْ لـي بِرَبِّـكَ مـاذا ينفَـعُ المـالُ	إن لـم يُزَيِّنْـهُ إِحسـانٌ وإفضـالُ
المـالُ كالمـاءِ إن تحـبِسْ سـواقِيَهُ	يأسَنْ وإن يجرِ يَعْذُبْ منه سِلسالُ
تحيا علىٰ الماءِ أَغراسُ الرِّياضِ كما	تحيـا علـىٰ المـالِ أرواحٌ وآمـالُ

(١) رواهُ مسلمٌ (٢٢٣).

إنَّ الثـــراءَ إذا حِيلَـــتْ مــــوارِدُهُ دونَ الفقيـــرِ فخيـــرٌ منـــه إِقـــلالُ
اللهُ أعطـــاكَ فابـــذُلْ مِـــن عطيَّتِـــهِ فالمـــالُ عاريَـــةٌ والعُمْـــرُ رحَّـــالُ(١)



(١) مواردُ الظمآنِ لدروسِ الزمانِ لعبدِ العزيزِ السلمانِ (٢/ ١٨٦).



١٤- ثوابُ الصَّدَقَةِ

جاءَ فِي سُنَنِ الترمذيِّ بسندٍ صحيحٍ[١] مِنْ حَدِيْثِ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللهِ، كُتِبَتْ لَهُ بِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ**».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ مَنْ بَذَلَ مِن مالِهِ في طريقٍ مِن طُرِقِ الخيرِ الَّتي أمَرَ اللهُ بها، مِثلَ جهادِ أعداءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لإعلاءِ كلمتِه، وكفالةِ طُلَّابِ العلومِ الشرعيَّةِ، وطباعةِ الكُتُبِ، وعمارةِ المساجِدِ، ونحوِ ذلكَ «**كُتِبَتْ له بسَبعِ مِائةِ ضِعفٍ**»، أي: ضُوعِفَ في الأجرِ إلىٰ ذلك، وقيل: هذا ثوابُ ذلك الفِعلِ، واللهُ يُضاعِفُ لِمَن يَشاءُ، وفضلُ اللهِ واسعٌ.

يـد المعـروفِ غُـنْمٌ حيـثُ كانـت ... تَضَـمَّنَها كفـورٌ أو شـكورُ

فعنـد الشـاكرين لـه جـزاءٌ ... وعنـد اللهِ مـا كَفَـرَ الكفـورُ[٢]



(١) أخرجَهُ الترمذيُّ (١٦٢٥)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في "صحيحِ الجامعِ" (٨٥٢٣).

(٢) محاضراتُ الأُدباءِ (١/ ٦٨٥).



١٥- بَذْلُ الفاضِلِ عن الحاجة

جَاءَ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ"(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَىٰ كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ**».

❁ **الشرحُ:**

دَلَّ الحديثُ علىٰ وجوبِ بَذْلِ الفاضِلِ من المالِ إذا كانَ الحَقُّ واجبًا كالزكاةِ، واستحبابِ بَذْلِهِ إذا كان مندوبًا كالصدقةِ؛ لأَنَّ في إمساكِ الواجِبِ إثمًا كبيراً، وفي إنفاقِ المندوبِ أجْراً عظيمًا، لكنْ إذا كانَ الموجودُ لا يزيدُ عن كفايتِهِ، وكفايةِ عيالِهِ فلا لَوْمَ عليه.

وقولُهُ: «**وابدأْ بِمَنْ تعولُ**» أي: ابدأ بمَنْ تَجِبُ عليك نفقاتُهُم، كالعيالِ، والقرابةِ، قبلَ الأجانِبِ، قال البغويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: « والاختيارُ للرجلِ أَنْ يتصدَّقَ بالفَضْلِ من مالِهِ، ويَسْتَبْقِيَ لنفسِهِ قوتًا لما يخافُ عليهِ من فتنةِ الفَقْرِ، وربَّما يلحِقُهُ النَّدَمُ علىٰ فِعْلِ، فَيَبْطُلُ به أجرُهُ، ويبقىٰ كَلَّاً علىٰ الناسِ، ولم ينكرْ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خروجَهُ من مالِهِ أجمعَ لما عَلِمَ من قُوَّةِ يقينِهِ، وصِحَّةِ توكُّلِهِ، فلم يَخَفْ عليه

---

(١) رواهُ مسلمٌ (١٠٣٦).

الفتنةَ، كما خافَها علىٰ غيرِهِ، وأما مَنْ تصدق وأهلُهُ مُحتاجون إليه أو عليه دَيْنٌ فليسَ لهُ ذلكَ، وأداءُ الدَّيْنِ والإنفاقُ علىٰ الأهلِ أولىٰ، إلا أن يكونَ معروفًا بالصَّبْرِ، فيؤثِرُ علىٰ نفسِهِ ولو كان به خصاصةٌ كفِعْلِ أبي بكرٍ، وكذلك آثَرَ الأنصارُ المهاجرين، فأثنَىٰ اللهُ عليهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر:٩] وهي الحاجةُ والفَقْرُ »[١] .

ومن اللطائفِ أنَّ أميرَ المؤمنين أبا جعفرٍ الْمَنْصُورَ قَالَ لعَمْرِو بنِ عُبيدٍ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: عِظْني، فَقَالَ: أَعَمَّا رَأَيْتُ أَو مَا سَمِعتُ؟ فَقَالَ: بل عِظْني بِمَا رَأَيْت، فَقَالَ لَهُ: مَاتَ عمرُ بن عبدِ الْعَزِيزِ فَخَلَّفَ أَحَدَ عَشَرَ ابْنا وَبَلَغَتْ تركَتُهُ سَبْعَةَ عَشَرَ دِينَارًا، كُفِّنَ مِنْهَا بِخَمْسَةِ دَنَانِيرَ، وَاشْترىٰ مَوضِعَ قَبرِهِ بدينارَينِ، وَأَصَابَ كُلُّ وَاحِدٍ من وَلَدِهِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ قيراطًا، وَمَاتَ هِشَامُ فخلّفَ أَحَدَ عَشَرَ ابْنا وَأَصَابَ كُلُّ وَاحِدٍ من وَلَدِهِ ألفَ ألفِ دِينَارٍ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا من ولدِ عمرُ بنِ عبدِ الْعَزِيز قد حَمَّلَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ علىٰ مائَةِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا من ولدِ هِشَامٍ يسْأَلُ النَّاسَ لِيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ[٢].

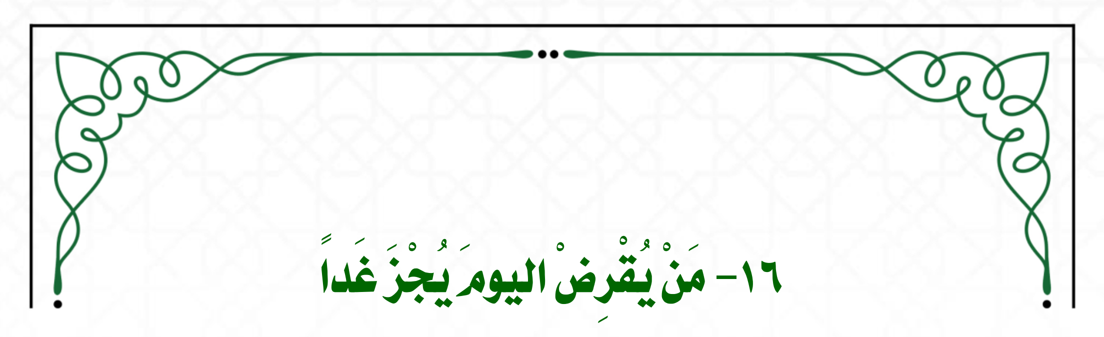
كـريمٌ رأىٰ الإقـلالَ عـارًا فَلَـمْ يَـزَلْ ... أخـا طَلَـبٍ للمـالِ حتّـىٰ تمـوَّلا
فلمّـا أفـادَ المـالَ عـاد بفضـلِهِ ... علىٰ كُلِّ مَنْ يرجـو جِـدَاهُ مُـؤَمِّلا[٣]



(١) شرحُ السنةِ (٦/ ١٨١).

(٢) التذكرةُ الحمدونيةُ (٩/ ٢٢٥).

(٣) محاضراتُ الأدباءِ (١/ ٦٨٦).



١٦- مَنْ يُقْرِضْ اليومَ يُجْزَ غداً

أخرجَ ابنُ حِبَّانَ في "صحيحِهِ" من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ مَلَكًا ببابٍ من أبوابِ الجنةِ يقولُ: من يُقْرِضِ اليوم يُجْزَ غَدَاً، ومَلَكٌ آخَرُ يقولُ: اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وأعطِ مُمْسِكًا تلَفًا»**(١).

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ أَنَّ مَنْ يُنْفِقْ اليومَ يَجِدْ ما أنفقَ يومَ القيامةِ موفَّراً بل أضعافًا مضاعفةً كما قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [سورة البقرة:٢٤٥].

قال ابنُ سَعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾: « فينفقُ ما تَيَسَّرَ من أموالِهِ في طُرُقِ الخيراتِ، خصوصًا في الجهادِ، والحَسنةُ بعشرةِ أمثالِها إلىٰ سبعِ مائةِ ضِعْفٍ إلىٰ أضعافٍ كثيرةٍ، بحسبِ حالةِ المُنْفِقِ، ونيَّتِهِ ونفعِ نفقتِهِ والحاجةِ إليها، ولما كان الإنسانُ رُبَّما توَهَّمَ أنه إذا أنفقُ افْتَقَرَ دَفَعَ تعالىٰ هذا الوَهْمَ بقولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ أي: يوسِّعُ الرزقَ علىٰ من يشاءُ ويَقْبِضُهُ عَمَّنْ يشاءُ، فالتصرُّفُ كُلُّهُ بيدَيْهِ ومَدارُ الأمورِ راجعٌ إليهِ، فالإمساكُ لا يَبْسُطُ

---

(١) أخرجَهُ ابنُ حِبَّانَ في "صحيحِهِ" (٣٣٢٣). وصحَّحَهُ الألبانيُّ في "الصحيحةِ" (٩٢٠).

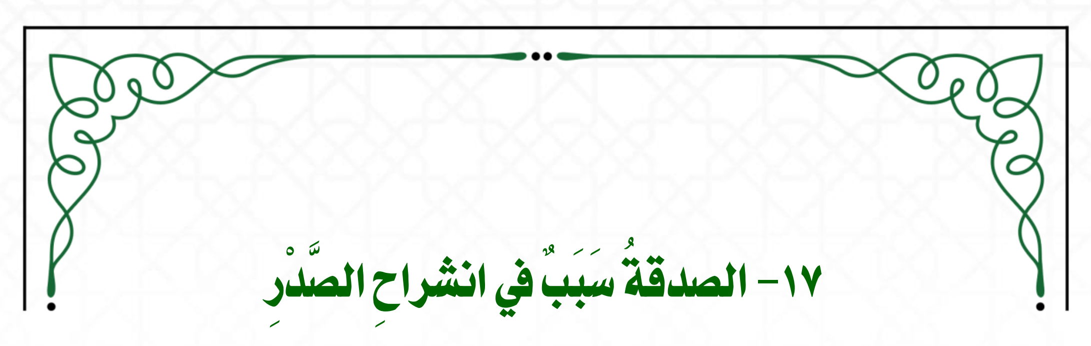
الرزقَ، والإنفاقُ لا يَقْبِضُهُ، ومع ذلك فالإنفاقُ غيرُ ضائعٍ علىٰ أهلِهِ، بل لهم يومٌ يجِدُون ما قدَّمُوهُ كاملًا موفَّرًا مضاعفًا، فلهذا قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ فيجازِيكم بأعمالِكم»[١].

إذا جـــاءَهُ السُّـــؤَّالُ أَنْهَـــبَ مالَـــهُ   وقـــالَ خُـــذُوه إنَّـــه عائـــدٌ غَـــدَا[٢]



(١) تفسيرُ السعديِّ (١٠٦).

(٢) زهرةُ الأَكُمِ (١/ ١٤٠).



١٧- الصدقةُ سَبَبٌ في انشراحِ الصَّدْرِ

جَاءَ فِي "صَحِيْحِ البُخَارِي"(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ: رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَىٰ تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبغَتْ - أَوْ وَفَرَتْ - عَلَىٰ جِلْدِهِ حَتَّىٰ تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ**».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ انشراحِ صَدْرِ الكريمِ للصدقةِ، وسرورِهِ بخروجِها منه أعظمُ من سُرورِ الآخِذِ، بخِلافِ البخيلِ إذا حَدَّثَ نفسَهُ بالصدقةِ شَحَّتْ نفسُهُ و ضاقَ عليهِ صدْرُهُ، وانقبضَتْ يداه.

قال الحافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: « قال الخَطابيُّ وغيرُهُ: وهذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للبخيلِ والمُتَصَدِّقِ، فشبَّهَهُما برَجُلَينِ أرادَ كُلُّ واحدٍ منهما أن يَلْبَسَ دِرْعًا يستَتِرُ به من سلاحِ عَدُوِّهِ، فَصَبَّها علىٰ رأْسِهِ لِيَلْبِسَها، والدروعُ أولُ ما تَقَعُ علىٰ الصَّدْرِ والثديينِ إلىٰ أَنْ يُدْخِلَ الإنسانُ يَدَيْهِ في كُمَّيْها، فَجَعَلَ المُنْفقَ كَمَنْ لَبِسَ دِرْعًا سابغةً

---

(١) رواهُ البخاريُّ (١٤٤٤).

فاسْتَرْسَلَتْ عليه حتىٰ سَتَرَتْ جميعَ بَدَنِهِ، وهو معنىٰ قولِهِ: «**حتىٰ تَعْفُوَ أَثَرَهُ**»؛ أي: تَسْتُرَ جميعَ بَدَنِهِ. وجعلَ البخيلَ كَمثَلِ رجلٍ غُلَّتْ يداهُ إلىٰ عُنُقِهِ، كُلَّما أرادَ لُبْسَها اجتمعَتْ في عُنُقِهِ فلزمَتْ تُرْقُوَتَهُ، وهو معنىٰ قولِهِ: «**قلصتْ**»؛ أي: تضامَّتْ واجتمعَتْ، والمرادُ أَنَّ الجوادَ إذا هَمَّ بالصدقةِ انْفَسَحَ لها صَدْرُهُ وطابَتْ نفسُهُ فتوسَّعَت في الإنفاقِ، والبخيلَ إذا حَدَّثَ نفسَهُ بالصدقةِ شَحَّتْ نفسُهُ فضَاقَ صَدْرُهُ وانقبضَتْ يداه ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [سورة الحشر: ٩] (١).

ذهـابُ المـالِ في حَمْـدٍ وأَجْـرٍ ... ذَهـابٌ لا يُقـالُ لـه: ذَهَـابُ(٢)

وقال أستاذنا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

تـراهُ سـعيدًا حـينُ يُنِفِـقُ مالَـهُ ... لأَنَّ انشـراحَ الصـدرِ حـينَ تَجـودُ



(١) فتحُ الباري (٣/ ٣٠٦).

(٢) محاضراتُ الأدباءِ (١/ ٦٨٤).

١٨- الصدقةُ سَبَبٌ للخَلاصِ من النارِ

جَاءَ فِي الصَّحِيْحِيْنِ[١] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحًىٰ أَوْ فِطْرٍ- إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ ثُمَّ انْصَرَفَ فَوَعَظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، فقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، تَصَدَّقُوا**». فَمَرَّ عَلَىٰ النِّسَاءِ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**». فَقُلْنَ: وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ**». ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمَّا صَارَ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ جَاءَتْ زَيْنَبُ - امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ - تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ زَيْنَبُ. فَقَالَ: «**أَيُّ الزَّيَانِبِ؟**» فَقِيلَ: امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ. قَالَ: «**نَعَمِ، ائْذَنُوا لَهَا**». فَأُذِنَ لَهَا قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّكَ أَمَرْتَ الْيَوْمَ بِالصَّدَقَةِ وَكَانَ عِنْدِي حُلِيٌّ لِي، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ، فَزَعَمَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهُ وَوَلَدَهُ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَدَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ، زَوْجُكِ وَوَلَدُكِ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتِ بِهِ عَلَيْهِمْ**».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ الصدقةَ سَبَبٌ للخَلاصِ من النارِ، فقولُهُ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ**».

---

(١) رواهُ البخاريُّ (١٤٦٢) واللفظُ لهُ، ومسلمٌ (١٠٠٠).

قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « هذا نداءٌ لجميعِ نساءِ العالَمِ إلىٰ يومِ القيامةِ، وإرشادٌ لَهُنَّ إلىٰ ما يُخَلِّصُهُنَّ من النارِ، وهو الصدقةُ مُطْلَقًا، واجبُها وتطوُّعُهَا ».

وقال: في قولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» أي: أطَّلَعَ علىٰ نساءٍ آدمياتٍ، من نوعِ المُخَاطَبَاتِ، لا أَنْفُسُ المُخَاطَبَاتِ؛ كما قال في الروايةِ الأخرىٰ: «**أطلعت علىٰ النارِ، فرأيتُ أكْثَرَ أهلِها النساءَ**»(١).



(١) المفهم (٢/ ٣٢).

١٩-المُتَصدِّقُ يدخُلُ الجَنةَ من بابِ الصَّدَقةِ

جَاءَ فِي "الصَّحِيْحِيْنِ"(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَىٰ مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَىٰ أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ مَنْ أنفقَ زوجين أي: شيئين من أصنافِ المالِ ابتغاءَ وَجْهِ اللهِ دُعِيَ لدخولِ الجنةِ من بابِ الصدقةِ، والجنةُ لها ثمانيةُ أبوابٍ، فعَنْ عُتبَةَ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولُ اللهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**الْجَنَّةُ لَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ وَالنَّارُ لَهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ**»(٢).

---

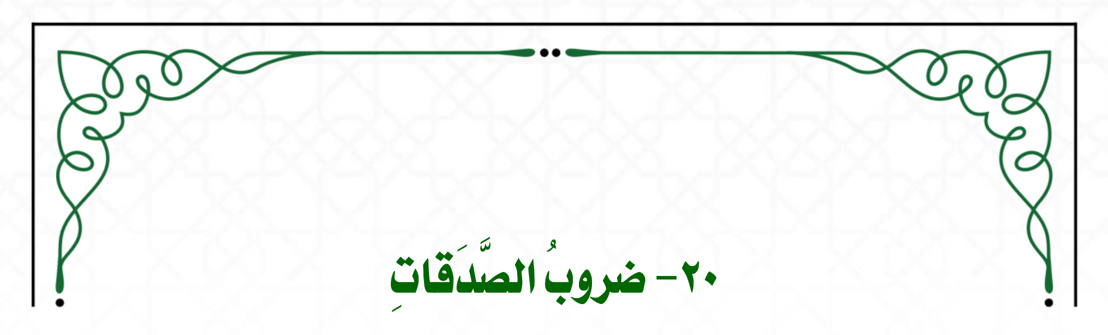
(١) رواهُ البخاريُّ (٣٦٦٦)، واللفْظُ لهُ، ومسلمٌ (١٠٢٧).

(٢) مدارجُ السَّالِكين (٢/ ٤٣٣).

فهـــــذا وقْــــــتُ الـــــزرعِ	وغـــدًا تَحْصُــدُ مـــا زَرَعْــتَ
فَمَــا هِــيَ إِلَّا سَــاعَةٌ. ثُــمَّ تَنْقَضِــي	وَيَحْمَدُ غِبَّ السَّيْرِ مَـنْ هُـوَ سَـائِرٌ(١)



(١) الطبقاتُ الكبرىٰ لابنِ سَعْدٍ (٧/ ٤٣٠)، تعليقُ الألبانيِّ "صحيحٌ"، صحيحُ الجامعِ (٣١١٩)، الصحيحةُ (١٨١٢).



٢٠- ضروبُ الصَّدَقاتِ

جَاءَ فِي الصَّحِيْحِيْنِ[١] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**». فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَيَتَصَدَّقُ**». قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ**». قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ**».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ تَنَوُّعِ الصدقةِ وأَنَّها ضروبٌ كثيراتٌ كإرشادِ الضالِّ، وإماطةِ الأذىٰ، والعدلِ بينَ اثنين، والتبسُّمِ في وَجْهِ أخيكَ المُسلمِ، وغرسِ شجرةٍ، وتعليمِ الناسِ العلمَ النافعَ، وإصلاحِ ذاتِ البَيْنِ، والكلمةِ الطيبةِ، وهَلُمَّ جَرًّا.

قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: « قولُهُ: «**علىٰ كُلِّ مُسلمٍ صَدقةٌ**» أي: علىٰ سبيلِ الاستحبابِ المتأَكَّدِ أو علىٰ ما هو أعَمُّ من ذلك، والعبارةُ صالحةٌ للإيجابِ والاستحبابِ، كقولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**علىٰ المسلمِ ستُّ خِصالٍ**». فَذَكَرَ منها ما هو مستحَبٌّ اتِّفاقًا، وزادَ أبو هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثِهِ تقييدُ ذلك بكُلِّ يومٍ، كما سيأتي في الصُّلْحِ من طريقِ هَمَّامَ عنه، ولمسلمٍ من حديثِ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**يصبحُ**

---

(١) رواهُ البخاريُّ (١٤٤٥)، واللفظُ له، ومسلمٌ (١٠٠٨).

علىٰ كُلِّ سُلامَىٰ من أحدكُمْ صدقةٌ». والسُّلامَىٰ بِضَمِّ المُهْمَلةِ وتَخفيفِ اللامِ: المِفْصَلُ. وله في حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**خَلَقَ اللهُ كُلَّ إنسانٍ من بني آدمَ علىٰ سِتِّينَ وثلاثِمائةِ مِفْصَلٍ**». قولُهُ: «فقالوا: يا نبيَّ اللهِ، فِمَنْ لم يَجِدْ؟» كأنَّهم فَهِموا من لفظِ الصدقةِ العطيَّةَ، فسألوا عَمَّنْ ليسَ عنده شيءٌ، فَبَيَّنَ لهم أَنَّ المرادَ بالصدقةِ ما هو أَعَمُّ من ذلك »[١].



(١) فتحُ الباري (٣/ ٣٠٨).



٢١- حَثُّ النِّساءِ على الصدقةِ

جاءَ فِي "صَحِيْحِ البُخَارِيِّ"(١) مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عِيدٍ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، ثُمَّ مَالَ عَلَى النِّسَاءِ وَمَعَهُ بِلَالٌ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ أَنْ يَتَصَدَّقْنَ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي الْقُلْبَ وَالْخُرْصَ.

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ استحبابِ الحَثِّ علىٰ الصدقةِ، والشفاعةِ فيها، فقد أقبلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ النساءِ فوعَظَهُنَّ في الصدقةِ فجعلَتْ المرأةُ تُلقِي القلبَ أي السُّوارَ، والخُرْصَ أي الحِلْقَةَ، وهذا يَدُلُّ علىٰ رِقَّةِ قلوبِ النساءِ، حتىٰ يومَ الناسِ هذا فإننا نرىٰ الفقراءَ في الحَرَمَين - في شَهْرِ الجودِ والكَرَمِ- يترصَّدون طريقَ النساءِ فَيُغْدِقْنَ عليهم من العطايا، وكأنَّهُنَّ لم يَخْرُجْنَ إلا للتَّصَدُّقِ علىٰ الفقراءِ جزاهُنَّ اللهُ خيراً.

ضَحِكاتٌ في إِثْرِهنَّ العطايا وبروقُ السَّحابِ قبلَ رَعُوْدِهْ



(١) رواهُ البخاريُّ (١٤٣١).

٢٢-المُتَصَدَّقُ بِهِ هو الباقي

جَاْ فِي "سُنَنِ التَّرمذيِّ" بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ(١) مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا بَقِيَ مِنْهَا؟**» قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا. قَالَ: «**بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا**».

۞ **الشرحُ:**

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ المالَ الذي تَصَدَّقَ به صاحبُهُ هو الباقي له عندَاللهِ، وأمَّا الذي لم يَتَصَدَّقْ به فهو إذا لم تكُنْ نيةُ صاحبِهِ الاستعانةَ به علىٰ طاعةِ اللهِ، فهو صائرٌ إلىٰ ما يصيرُ إليه كُلُّ مأكولٍ وقد قال اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾ [سورة النحل:٩٦].

قال ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُٱللَّهُ: « ذَبَحُ آلُ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شاةً وتَصَدَّقُوا بها إلا كَتِفَها، فَقَدِمَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقال: «**ما بَقِيَ منها**» قالتْ عائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: «ما بقِيَ إلا كَتِفُها».

يعني أنها تَصَدَّقَتْ بها كُلِّها إلا كتفَها، فقال النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بَقِيَ كُلُّها غيرَ كَتِفِها**» والمعنىٰ أَنَّ الذي أَكَلْتَ هو الذي ذَهَبَ، وأمَّا ما تَصَدَّقْتُم به فهو الذي بَقِيَ لكم.

---

(١) أخرجَهُ الترمذيُّ (٢٤٧٠)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في " الصحيحةِ" (٢٥٤٤).

فالحاصلُ أَنَّ الصحابةَ، وذوي الهِمَمِ العاليةِ هم الذينَ يعرِفونَ قَدْرَ الدنيا، وقَدْرَ المالِ، وأَن ما قَدَّموه هو الباقي، وما أَبْقَوهُ هو الفاني »(١).

قال أستاذنا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

حفظُــــكَ المــــالَ بَذْلُــــهُ ... ســــوفَ تلقــــاهُ باقيًــــا

فاقصــــدِ اللهَ بالعطــــا ... تَلْقَــــهُ عنــــكَ راضــــيًا



(١) شرحُ رياضِ الصَّالِحينَ (٣/ ١٦٦).

٢٣- المُنْفِقُ إنْ كان من العلماءِ فهو بأَفْضَلِ المنازِلِ

جَاءَ فِي "سُنَنِ التِّرمذيِّ" بِسَندٍ صَحِيْحٍ(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ**». قَالَ: «**مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ**». أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ؛ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ. فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ. فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ المُنْفِقَ إن كان من العلماءِ فهو بأَفْضَلِ المنازِلِ؛ لأَنَّ العالمَ يعلمُ أَنَّ المالَ من فضلِ اللهِ لا بِكَدِّهِ وكَدْحِهِ، وأَنَّهُ يَجِبُ شكرُ اللهِ علىٰ نعمةِ المالِ،

---

(١) أخرجَهُ الترمذيُّ (٢٣٢٥)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في "صحيحِ الجامعِ" (٣٠٢٤).

ومِنْ شُكْرِهِ التَّصَدُّقُ منِ المالِ في وجوهِ البرِّ والخيرِ، وأَنْ يُقْرِضَ منه، وَيتَّقِيَ فيه رَبَّهُ ويَصِلَ رَحِمَهُ.





٢٤- الصدقةُ مُطْهَرَةٌ للمالِ

جَاءَ فِي "سُنَنِ أَبِي داودَ" بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ[١] مِنْ حَدِيْثِ قَيْسِ بْنِ أَبِي غَرَزَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نُسَمَّىٰ السَّمَاسِرَةَ، فَمَرَّ بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَسَمَّانَا بِاسْمٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، إِنَّ الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ اللَّغْوُ وَالْحَلِفُ، فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ**».

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ التِّجارةَ يَخالِطُها اللَّغْوُ والحلفُ فأَمَّا اللَّغْوُ فهو الكلامُ الذي فيهِ ترغيبٌ في السلعةِ وترويجٌ لها، وربَّما وَقَعَ في الكذبِ أو التَّدْلِيْسِ، ويَحْصُلُ فيه الحلفُ، وإذا كان صادقًا في الحلفِ فهو غيرُ آثمٍ، لكنه لا يَحْتاجُ أن يجعلَ اللهَ وسيلةً فلا يتحدَّثُ إلا حالفًا، بل يَعْرِضُ سِلعَتَهُ ويُبَيِّنُ ما فيها دونَ أَنْ يَحْلِفَ.

وقولُهُ: «**فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ**» أي: أَخْرِجوا صدقةً تُكَفِّرُ هذا الأمرَ الذي قد يُخَالِطُ البيعَ.

قال الطيبيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: « رُبَّما حَصَلَ من الكلامِ السَّاقِطِ وكثرةِ الحلفِ كُدُورَةٌ في النفسِ، فيحتاجُ إلىٰ إزالتِها وصفائِها، فأمرَ بالصدقة لتزيل تلك الكدورة وتصفيتها »[٢].

---

(١) أخرجَهُ أبو داودَ (٣٣٢٧)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في " صحيحِ الجامعِ" (٧٩٧٤).

(٢) مِرقاةُ المفاتيحِ (٥/ ١٦١٠).

إِذا الْجُودُ لم يرْزَقْ خَلاصًا مـن الْأَذَىٰ ... فَلَا الْحَمدُ مكسوبًا وَلَا المَـالُ بَاقِيـا

ولِلـنفسِ أخــلاقٌ تَـدُلُّ علـىٰ الْفَتـىٰ ... أَكَـانَ سـخاءً مَـا أَتَـىٰ أم تسـاخِيا[1]



(١) التذكرةُ الحمدونيةُ (٢/ ٣١٣).



٢٥- الغنيُّ مع الإنفاقِ بمنزلةِ القرآنِ مع القيامِ به

جَاءَ فِي الصَّحِيْحِيْنِ[١] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ أَنَّ منزلةَ الغنيِّ مع الإنفاقِ بمنزلةِ قارئِ القرآنِ مع القيامِ به.

والمُرادُ بالحَسَدِ هنا الغِبْطَةُ.

قال الداوديُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «والحَسَدُ: التَّنافُسُ، والمسابقةُ في النِّيَّةِ والفعلِ»[٢].



(١) رواهُ البخاريُّ (٧٥٢٩)، ومسلمٌ (٨١٥) واللفظُ لهُ.

(٢) التوضيحُ لشرحِ الجامعِ الصحيحِ (٣٣/ ٥١٧).



٢٦- الخازِنُ الأمينُ أَحَدُ المُتَصَدِّقِين

جَاءَ فِي الصَّحِيْحِيْنِ(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**الْخَازِنُ الْمُسْلِمُ الأَمِينُ الَّذِي يُنْفِذُ**».

وَرُبَّمَا قَالَ: «**يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ كَامِلًا مُوَفَّرًا طَيِّبٌ بِهِ نَفْسُهُ، فَيَدْفَعُهُ إِلَىٰ الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقَيْنِ**».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ الخازنَ الأمينَ الذي يؤدِّي ما أُمِرَ به طيبةً به نفسُهُ، أَحَدُ المُتَصَدِّقين، مع أَنَّ المالَ الذي تَصَدَّقَ منه ليس مُلْكَهُ، وإنما هو خازنٌ فقط، فلمَّا كان واليًا لخزانتِهِ وأَدَّىٰ حقوقَ الناسِ في ولايتِهِ طيبةً نفسُهُ بما أَدَّىٰ، استحَقَّ ذلك التكريمَ لأمانتِهِ(٢).

قال ابنُ عُثَيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: « إِنَّ الخازِنَ الذي جَمَعَ هذه الأوصافَ الأربعةَ: المُسلمَ، الأمينَ، الذي يُنْفِذُ ما أُمِرَ به، طيبةً بها نَفسُهُ.

فهو مسلمٌ احترازًا من الكافِرِ، فالخازنُ إذا كان كافرًا وإن كان أمينًا وينفذُ ما أُمِرَ به ليس له أَجْر؛ لأَنَّ الكفارَ لا أَجْرَ لهم في الآخرةِ فيما عملوا من الخيرِ، قال اللهُ تعالىٰ:

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٦٣٢٩)، ومسلمٌ (١٠٠٦).

(٢) الحاوي في التفسيرِ (٣٢/ ٣٠٣) .

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [سورة البقرة:٢١٧]، أما إذا عَمِلَ خيرًا ثم أسلمَ فإنه يُسْلِمُ علىٰ ما أَسْلَفَ من خيرٍ ويُعْطَىٰ أَجْرَهُ.

الوصفُ الثاني: الأمينُ يعني الذي أدَّىٰ ما ائْتُمِنَ عليه، فحَفِظَ المالَ، ولم يُفْسِدْهُ، ولم يُفرِّطْ فيه، ولم يَعْتَدِ فيه.

الوصفُ الثالثُ: الذي يُنْفِذُ ما أُمِرَ به يعني يَفْعَلُهُ؛ لأَنَّ من الناسِ مَنْ يكونُ أمينًا لكنَّهُ متكاسِلٌ، فهذا أمينٌ ومُنْفِذٌ يفعلُ ما أُمِرَ به، فَيَجْمَعُ بين القوةِ والأمانةِ.

الوصفُ الرابعُ: أن تكونَ طيبةً به نفسُهُ، إذا نَفَّذَ وأَعْطَىٰ ما أُمِرَ به أعطاه وهو طيبةٌ به نفسُهُ، يعني لا يَمُنُّ علىٰ المُعْطَىٰ، أو يُظْهِرُ أَنَّ له فضلًا عليه بل يعطيه طيبةً به نفسُهُ، فهذا يكونُ أَحَدَ المتصدِّقين مع أنه لم يَدْفَعْ من مالِهِ فِلْسًا واحدًا.

مثالُ ذلك: رجلٌ عندَهُ مالٌ، وكان - أمينُ صندوقِ المالِ- مسلمًا أمينًا، يُنْفِذُ ما أمَرَهُ به، ويعطيهِ صاحبَهُ طيبةً به نَفسُهُ، فإذا قال له صاحبُ الصندوقِ: يا فلانُ أعطِ هذا الفقيرَ عشرةَ آلافِ ريالٍ، فأعطاهُ علىٰ الوصْفِ الذي قال النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنَّه يكونُ كالذي تصدَّقَ بعشرةِ آلافِ ريالٍ من غيرِ أن ينقصَ من أجرِ المتصدِّقِ شيئًا، ولكنهُ فضلٌ من اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

ففي هذا الحديثِ دليلٌ علىٰ فضلِ الأمانةِ، وعلىٰ فضلِ التنفيذِ فيما وُكِّلَ فيه وعدمِ التفريطِ فيه، ودليلٌ علىٰ أَنَّ التعاونَ علىٰ البِرِّ والتقوىٰ يُكْتَبُ لمَنْ أعانَ مثلَ ما يُكْتَبُ لمَنْ فَعَلَ، وهذا فضلُ اللهِ يؤتيهِ من يشاءُ، واللهُ الموفقُ »[1].

---

(١) شرحُ رياضِ الصالحين (٢/ ٣٨٠-٣٨١).



٢٧- أفضلُ الصدقاتِ

١- الإنفاقُ على الوالدَينِ والأهل و الأولاد:

جَاءَ فِي الصَّحِيْحَيْنِ(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَىٰ أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لهُ صَدَقَةٌ**».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ النفقةَ علىٰ الأهلِ صدقةٌ لصاحبِها إذا احتسبَ ذلك عندَ اللهِ؛ يرجو ثوابَها منه والأهلُ هم الْوَالِدَانِ والزوجاتُ والعيالُ.

قال المهلبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: « النفقةُ علىٰ الأهلِ واجبةٌ بالإجماعِ، وإنما سمَّاهُ الشارعُ صدقةً خِشْيَةَ أَنْ يظنُّوا أن قيامَهم بالواجبِ لا أجرَ لهم فيه، وقد عَرفوا ما في الصدقةِ من الأجرِ فعرَّفَهم أنها لهم صدقةٌ، حتىٰ لا يُخْرِجوها إلىٰ غيرِ الأهلِ إلا بعدَ أَنْ يَكْفُوهم المؤونةَ ترغيباً لهم في تقديمِ الصدقةِ الواجبةِ قبل صدقةِ التَّطَوُّعِ »(٢).

قال ابنُ بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: « يعني مع أجرِ أداءِ الواجبِ يُكْتَبُ له صدقةً، وهذه زيادةٌ مع كونِهِ أدَّىٰ الواجبَ، فيؤجرُ علىٰ أداءِ الواجبِ، ويؤجرُ علىٰ نيَّتِهِ الطيبةِ » (٣).

---

(١) رواهُ البخاريِّ (٥٥)، ومسلمٌ (١٠٠٢).

(٢) إرشادُ الساري (٨/ ١٦٩).

(٣) شرحُ ابنِ بازٍ علىٰ رياضِ الصالحين رقم (١٠٨).

أنفقْ علىٰ الزوجاتِ حقًّا واجبًا ومثالُهُنَّ الابنُ و الأبوانِ[١]

٢-الصدقةُ على ذي القرابة:

جَاءَ فِي سُنَنِ النسائيِّ وغيرِه بسندٍ صَحِيْحٍ [٢] مِنْ حَدِيْثِ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصَّدَقَةُ عَلَىٰ الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَىٰ ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ**».

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ فضلِ الصدقةِ علىٰ ذي القرابةِ، وأنها بأجرَينِ أجرِ الصِّلَةِ، وأجرِ الصَّدَقَةِ.

قال السنديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: « إطلاقُهُ يشملُ الفرضَ والنَّدْبَ فيدُلُّ علىٰ جوازِ أداءِ الزكاةِ إلىٰ القرابة مُطْلَقًا »[٣].

وعلىٰ الأقاربِ أنفِقوا بكفايةٍ فالأقربون أحقُّ بالقُربانِ[٤]

٣-الصدقةُ على ذي الرّحِم الكاشِح:

جَاءَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ[٥] مِنْ حَدِيْثِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّدَقَاتِ أَيُّهَا أَفْضَلُ. قَالَ: «**عَلَىٰ ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ**».

---

(١) موسوعةُ الشعرِ الإسلاميِّ (١٣/ ٣٤٠).

(٢) أخرجَهُ النسائيُّ (٢٥٨٢)، وابنُ ماجَه (١٨٤٤)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في.

(٣) حاشيةُ السنديِّ علىٰ سننِ ابنِ ماجه (٥٦٦).

(٤) موسوعةُ الشِّعْرِ (١٤/ ٣٤٠).

(٥) أخرجَهُ أحمدُ (٣/ ٤٠٢)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في "صحيحِ الجامعِ" (١١١٠).

۞ **الشرحُ:**

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ أفضلَ الصدقةِ وأعظمَها أَجْراً عندَ اللهِ علىٰ ذي الرحِمِ الكاشِحِ، والكاشِحُ: العدوُّ الذي يُضْمِرُ عداوتَهُ ويَطوي عليها كِشْحَهُ: أي باطنَه، والكِشْحُ: الخَصْرُ(١).

قال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الكاشِحُ المُعادِي، كأَنَّهُ يُضْمِرُ العداوةَ في كِشْحِهِ، وهي خاصرتُهُ، وإنما فُضِّلتِ الصدقةُ عليه لِمَكَانِ مخالفةِ هوىٰ النفسِ، فأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ من يُحِبَّ فإنما ينفقُ علىٰ قلبِهِ وهواهُ »(٢).

وَكُنْ واصِلَ الأَرْحَامِ حَتَّىٰ لَكَاشِحِ   تُوَفَّرَ في عُمْرٍ وَرِزْقٍ وَتَسْعَدِ(٣)

٤- الصدقةُ على الجار:

جَاءَ فِي "صَحِيْحِ مُسْلِمٍ"(٤) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

«يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ».

۞ **الشرحُ:**

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ الجارَ أولىٰ بالصدقةِ أو الهديةِ من البعيدِ؛ لأَنَّ له حَقاً زائداً علىٰ غيرِهِ من المسلمين.

---

(١) النهايةُ (٤/ ١٧٦).

(٢) البرُّ والصلةُ لابنِ الجوزيِّ (١٧٥).

(٣) مجموعةُ القصائِدِ الزهدياتِ (١/ ١٨٦).

(٤) رواهُ مسلمٌ (٢٦٢٥).

قال القرطبيُّ: « قولُهُ: «**فَأَكْثِرْ مَاءَهَا**» تنبيهٌ لطيفٌ علىٰ تيسيرِ الأمرِ علىٰ البخيلِ؟ إِذْ الزيادةُ المأمورُ بها إنما هي فيما ليس لها ثَمَنٌ، وهو الماءُ.

ولذلك لم يَقُلْ: «**إذا طبخْتَ مرقةً فأكثِرْ لَحْمَها، أو طبيخَها؟**».

إذ لا يسهلُ ذلك علىٰ كُلِّ أَحَدٍ »[١].

أَفِـقْ فَحقــوقُ الجــارِ واجبــةُ الأدا ... وإِنْ كان شِـرِّيراً وإن كـان جافيـا[٢]

٥- الصدقةُ عن المَيِّت:

جَاءَ فِي الصَّحِيْحينِ[٣] مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا، وَأُرَاهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، تَصَدَّقْ عَنْهَا**».

وفي روايةٍ لمسلمٍ: فَلِي أَجْرٌ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**».

الشرح:

دَلَّ الحديثُ علىٰ فَضْلِ الصدقةِ عن المَيِّتِ وأَنَّ للمُتَصَدِّقِ عنه أجرًا كما في الروايةِ الأخرىٰ.

قال القاضي عياضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: « وأمَّا قولُهُ في الصدقةِ عنها: فإِنَّ الاتفاقَ علىٰ أَنَّ الصدقةَ عن الميتِ نافعةٌ »[٤].

---

(١) المُفْهِمُ (٢١/ ١٣٩).

(٢) قاله أستاذُنا عبد الكريم العماد -حفظَهُ اللهُ.

(٣) رواهُ البخاريُّ (٢٧٦٠)، ومسلمٌ (١٠٠٤).

(٤) إكمالُ المعلمِ (٣/ ٥٢٤).

وأما قولُهُ: «فَلِي أَجْرٌ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا؟».

فقد قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الجَمْعُ بينهما صحيحٌ ؛ لأنها يكونُ لها أَجْرٌ بما تُصُدِّقَ عنها، وله أجرٌ بما بَرَّها بِهِ، وأدخَلَهُ عليها »(١).

٦- الصدقةُ في حالِ الصِّحّةِ والقوة:

جَاءَ فِي "الصَّحِيْحِيْنِ"(٢) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ؟ فَقَالَ: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَىٰ الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْغِنَىٰ، وَلَا تُمْهِلَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ**».

قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، أَلَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ.

الشرحُ:

دَلَ الحدِيْثُ عَلَىٰ أنَّ أفضَلَ الصَّدقةِ أن يتصدَّقَ المرءُ حالَ حياتِه وصحَّتِه، وهو وقتٌ يُصادِفُ مَن يكونُ مِن شأنِه الشُّحُّ، وهو البُخلُ مع الحِرصِ، ويَخافُ مِن الوُقوعِ في الفَقرِ، ويأْمُلُ الغِنَىٰ، مع احتياجِهِ إلىٰ المالِ واختصاصِهِ بِهِ، لا في حالِ سقَمِهِ وسياقِ مَوتِه؛ لأنَّ المالَ حينَئِذٍ خرَج عنه وتعلَّقَ بغيرِهِ.

أنفقْ ولا تَخْشَ إقلالاً فقد قُسِمَتْ ... بين العبادِ مع الآجالِ أرزاقُ

لا يَنْفَعُ البُخْلُ مَعْ دنيا مولِّيةٍ ... ولا يضرُّ مَعَ الإقبالِ إنفاقُ(٣)

---

(١) المُفْهِمُ (١٤/ ١٥).

(٢) رواهُ البخاريُّ (١٤١٩)، ومسلمٌ (١٠٣٢).

(٣) التذكرةُ الحمدونيةُ (٢/ ٢٦٨).

٧-الصدقةُ مع اتباعِ الجنازةِ وعيادةِ المريض:

جَاءَ فِي "صَحِيْحِ مُسْلِمٍ"(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا.

قَالَ: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا.

قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا.

قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أنه متىٰ ما اجْتَمَعَتْ الصدقةُ مع الصيامِ، واتباعِ الجنائِزِ، وعيادةِ المريضِ في يومٍ واحدٍ إلا أَوْجَبَ ذلك لصاحِبِهِ الجنةَ.

قال النوويُّ رَحِمَهُ اللهُ:

« قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أصبحَ منكم اليومَ صائمًا؟**» قال أبو بكرٍ: أنا، إلىٰ قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما اجْتَمَعْنَ في امرئٍ إلا دَخَلَ الجَنَّةَ**» قال القاضي: معناه: دَخَلَ الجنةَ بلا محاسبةٍ ولا مجازاةٍ علىٰ قبيحِ الأعمالِ، وإلا فمجردُ الإيمانِ يقتضي دخولَ الجنةِ بِفضْلِ اللهِ تعالىٰ »(٢).

---

(١) رواهُ مسلمٌ (١٠٢٨).

(٢) المنهاجُ (١٥/ ١٥٦).

٨- الصدقةُ الجاريةُ:

جَاءَ فِي "صحيح مسلم"[(١)] مِن حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ ؛ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ أفضلَ أنواعِ الصدقةِ، الصدقةُ الجاريةُ التي تَسْتَمِرُّ للعبدِ بعدَ وفاتِهِ مثلَ: تعليمِ العلمِ، وحَفْرِ الآبارِ، وبناءِ المساجِدِ، وطباعةِ المصاحِفِ، والكُتُبِ، وغَرْسِ النَخلِ، ودَعْمِ حلقاتِ تحفيظِ القرآنِ الكريمِ، والأوقافِ الخيريةِ علىٰ الفقراءِ والمسكينِ، والمساجدِ وطلابِ العلمِ، وتربيةِ الأبناءِ علىٰ الخيرِ والصلاحِ، ورباطٍ بِثَغْرٍ.

قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَلَفْظُ الْوَلَدِ شَامِلٌ لِلْأُنْثَىٰ وَالذَّكَرِ، وَشَرْطُ صَلَاحِهِ لِيَكُونَ الدُّعَاءُ مُجَابًا، وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُ يَنْقَطِعُ أَجْرُ كُلِّ عَمَلٍ بَعْدَ الْمَوْتِ إلَّا هَذِهِ الثَّلَاثَةَ فَإِنَّهُ يَجْرِي أَجْرُهَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَيَتَجَدَّدُ ثَوَابُهَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَسْبِهِ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ دُعَاءَ الْوَلَدِ لِأَبَوَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَلْحَقُهُمَا، وَكَذَلِكَ غَيْرُ الدُّعَاءِ مِنْ الصَّدَقَةِ وَقَضَاءِ الدَّيْنِ وَغَيْرِهِمَا. وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ زِيدَ عَلَىٰ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ بِلَفْظِ: «**أَنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا نَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ**

---

(١) رواهُ مسلمٌ (١٦٣١).

صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ»[١] وَوَرَدَتْ خِصَالٌ أُخَرُ تُبْلِغُهَا عَشْرًا وَنَظَمَهَا الْحَافِظُ السُّيُوطِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ:

إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ لَيْسَ يَجْرِي ... عَلَيْهِ مِنْ فِعَالٍ غَيْرِ عَشْرِ

عُلُومٌ بَثَّهَا وَدُعَاءُ نَجْلٍ ... وَغَرْسُ النَّخْلِ وَالصَّدَقَاتِ تَجْرِي

وِرَاثَةُ مُصْحَفٍ وَرِبَاطُ ثَغْرٍ ... وَحَفْرُ الْبِئْرِ أَوْ إِجْرَاءُ نَهْرِ

وَبَيْتٌ لِلْغَرِيبِ بَنَاهُ يَأْوِي ... إِلَيْهِ أَوْ بِنَاءُ مَحَلِّ ذِكْرِ»[٢]

٩- صَدَقَةُ السِّرِّ:

جَاءَ فِي "صَحِيحِ البُخَارِي"[٣] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ؛ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَىٰ حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»**.

---

(١) رواهُ ابنُ ماجهَ (٢٤٢)، وحسنهُ الألبانيُّ في "صحيحِ الجامعِ" (٢٢٣١) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحِ الترغيبِ والترهيبِ (٧٧): رواهُ ابنُ ماجَهَ (٢٤٢) بإسنادٍ حسنٍ، والبيهقيُّ في شعبِ الإيمانِ (٣٤٤٨)، ورواهُ ابنُ خزيمةَ في "صحيحهِ" (٢٤٩٠) مثلهُ؛ إلا أنَهُ قال: "أو نهراً كراه"، وقال: "يعني حفره"، ولم يذكر المصحف.

(٢) سبل السلام (٢/ ١٢٧).

(٣) رواهُ البخاريُّ (٦٦٠).

❁ **الشرحُ:**

والشاهِدُ قولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَىٰ حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**» مبالغةً في إخفائِها، ومصداقية ذلك في قولِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧١].

أي: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ فَتُظْهِروها وتكونُ علانيةً حيثُ كان القَصْدُ بها وَجْهَ اللهِ ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ أي: فَنِعْمَ الشيءُ ﴿هِىَ﴾.

لحصولِ المقصودِ بها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ أي: تُسرُّوها ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ ففي هذا أَنَّ صدقةَ السِّرِّ علىٰ الفقيرِ أفضلُ من صدقةِ العَلَانيةِ، وأما إذا لم تُؤْتَ الصدقاتُ الفقراءَ فمفهومُ الآيةِ أَنَّ السِّرَّ ليس خيرًا من العلانيةِ، فَيُرْجَعُ في ذلك إلىٰ المصلحةِ، فإنْ كان في إظهارِها إظهارُ شعائرِ الدينِ وحصولُ الاقتداءِ ونحوِه، فهو أفضلُ من الإسرارِ، ودلَّ قولُهُ: ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ علىٰ أنه ينبغي للمتصدِّقِ أنْ يَتَحَرَّىٰ بصدقتِهِ المحتاجين، ولا يعطي محتاجًا وغيرُهُ أحوجُ منه، ولما ذَكَرَ تعالىٰ أن الصدقةَ خيرٌ للمتصدقِ ويَتَضَمَّنُ ذلك حصولُ الثوابِ قال: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ﴾ ففيهِ دَفْعُ العقابِ ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ من خيرٍ وشرٍ، قليلٍ وكثيرٍ والمقصودُ من ذلك المجازاةُ[١].

---

(١) تفسيرُ ابنِ سَعْدِيٍّ (١١٦).

وقال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فأخبرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنَّ إِعطاءَها للفقيرِ في خُفْيَةٍ خيرٌ للمنفقِ من إظهارِها وإعلانِها.

وتأملْ تَقْيِيدَهُ تعالىٰ الإخفاءَ بإيتاءِ الفقراءِ خاصةً ولم يَقُلْ: وإنْ تخفوها فهو خيرٌ لكم، فإنَّ من الصدقةِ ما لا يُمْكِنُ إخفاؤُهُ كتجهيزِ جيشٍ وبناءِ قنطرةٍ وإجراءِ نَهْرٍ أو غيرِ ذلك، وأما إيتاؤها الفقراءَ ففي إخفائِها من الفوائِدِ السَّتْرُ عليه وعَدَمُ تخجيلِهِ بين الناسِ وإقامتُهُ مقامَ الفضيحةِ، وأن يرىٰ الناسُ أَنَّ يَدَهُ هىٰ اليَدُ السُّفلىٰ وأنه [فقيرٌ] لا شيءَ له فيزهدون فىٰ معاملتِهِ ومعاوضتِهِ، وهذا قَدْرٌ زائدٌ من الإحسانِ إليه بمجرَّدِ الصدقةِ مع تَضَمُّنِهِ الإخلاصَ وعَدَمَ المراءَاةِ وطلبِهم المحمدةَ من الناسِ، وكان إخفاؤها للفقيرِ خيراً من إظهارِها بين الناسِ، ومن هذا مَدَحَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدقةَ السِّرِّ وأثنىٰ علىٰ فاعِلِها وأخبرَ أنه أَحَدُ السَّبْعةِ الذين هم في ظِلِّ عَرْشِ الرحمنِ يومَ القيامةِ.

ولهذا جعلَهُ سبحانَهُ خيراً للمُنْفِقِ وأخبرَ أنه يُكَفِّرُ عنه بذلك الإنفاقِ من سيئاتِهِ »(١).



(١) طريقُ الهِجْرَتَيْنِ (٣٧٦).



أنواعُ الصدقَاتِ

١- بناءُ المساجِدِ وعمارتها:

جَاء فِي "الصَّحِيْحِيْنِ"(١) مِنْ حَدِيْثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَىٰ مَسْجِدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّكُمْ أَكْثَرْتُمْ، وَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ بَنَىٰ اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ**».

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أنَّ بناءَ المساجِدِ من أفضلِ القُرُباتِ التي يُتَقَرَّبُ بها إلىٰ اللهِ ولا يقومُ بذلك إلا مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٨] « أي: لا أعظمَ إيمانًا مِمَّنْ سَعَىٰ في عمارةِ المساجِدِ بالعمارةِ الحِسِّيَّةِ والمعنويةِ »(٢).

ولا يقتصِرُ الأجرُ علىٰ بناءِ مسجدٍ كاملاً بل مَنْ شارَكَ ولو باليسيرِ بنىٰ اللهُ لَهُ بيتًا في الجنةِ وفضلُ اللهِ واسعٌ بدليلِ ما جاء في سُنَنِ ابنِ ماجَةَ وغيرِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٤٥٠)، ومسلمٌ (٥٣٣).

(٢) تفسيرُ السعديِّ (٦٣).

أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ، أَوْ أَصْغَرَ، بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**»(١).

ومَفْحَصُ القطاةِ هو موضِعُها الذي تَجْثُمُ فيه وتبيضُ. لأنها تَفْحَصُ عنه التراب.

والمسجدُ -كما هو معلومٌ- لا يكونُ بهذا المقدارِ ولا بهذا الحَجْمِ، وإنما هذا علىٰ سبيلِ المبالغةِ، وقال بعضُ أهلِ العلمِ: إن ذلك يكونُ بالمشاركةِ، أي: ولو كانت مشاركَتُهُ بشيءٍ يسيرٍ، فيكونُ بناءُ المسجدِ من قِبَلِهِ وقِبَلِ غيرِهِ، فالمقصودُ أَنَّ اللهَ تعالىٰ يأْجُرُهُ علىٰ ذلك وإن كان المسجدُ صغيراً(٢).

٢- نشرُ العلمِ النافِع:

جَاءَ فِي "صَحِيْحِ مُسْلِمٍ" مِنْ حَدِيْثِ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاّ مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**».

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ نشرَ العلمِ بابٌ عظيمٌ من أبوابِ الصدقةِ الجاريةِ التي لا تنقطعُ ونَشْرُ العلمِ يكونُ بنشرِهِ بينَ الناسِ وتأليفِ الكُتُبِ النافعةِ و كفالةِ طلابِ العلمِ الذين نَذَروا أنفسَهُمْ لطلَبِ العلمِ وتبليغِهِ للناسِ، ويدخُلُ في ذلك طباعةُ كُتُبِ السُّنَّةِ النافعةِ والعقيدةِ الصحيحةِ.

---

(١) أخرجَهُ ابنُ ماجه (٧٣٨)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في "الصحيحةِ" (١٥٥٧) وشيخُنا الوادعيُّ في الجامعِ الصحيحِ (٢٢٧).

(٢) شرحُ أبي داودَ للعبادِ (١١/ ٥١٥).

قال الحافظُ المندريُّ: « وناسخُ العلمِ النافِعِ له أجْرُه وأجرُ من قَرَأَهُ أو نَسَخَهُ أو عَمِلَ به من بعدِهِ ما بقِيَ خَطُّه والعملُ به؛ لهذا الحديثِ وأمثالِهِ، وناسخُ غيرِ النافِعِ مِمَّا يوجِبُ الإثمَ عليه وِزرُه، ووِزْرُ مَنْ قَرَأَهُ، أو نَسَخَهُ، أو عَمِلَ به مِنْ بعدِهِ، ما بَقِيَ خَطُّهُ والعملُ به »(١).

٣- كفالةُ الأيتامِ:

جَاءَ فِي صَحِيْحِ البُخَارِي"(٢) مِنْ حَدِيْثِ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا**» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا.

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ على فضيلةٍ بالغةٍ ومنزلةٍ عظيمةٍ ينالُها كافِلُ اليتيم

قال الصنعانيُّ: « «**أنا وكافلُ اليتيم**» أي القائِمُ بتربيتِهِ ومصالِحِهِ والإحسانِ إليه وظاهرهُ ولو قام به من تَرِكَتِهِ «**في الجنةِ هكذا**» وأشارَ بالسبابةِ والوسْطَى وفَرَّجَ بينهما: أي أن منزلةَ الكافِلِ تقاربُ منزلَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تَفَاوُتَ إلا بقدرِ تفاوُتِ السبابةِ والوسطَى، ويُحْتَمَلُ أَنَّ المرادَ التفاوتُ في الدخولِ وفي إلحاقِهِ بالرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مناسبةٌ؛ لأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو الأمةِ ربَّاها بإحسانِهِ إليها وبإرشادِهِ لها أمورَ دينِها ودنياها، فَأُلْحِقَ به كافلُ اليتيمِ، وفيه فضيلةٌ بالغةٌ لكافِلِ اليتيم »(٣).

---

(١) المُنْتَقَى من كتابِ الترغيبِ والترهيبِ (١/ ٣٢).

(٢) رواهُ البخاريُّ (٥٣٠٤).

(٣) التنويرُ شرحُ الجامعِ الصغيرِ (٤/ ٢٦٩).

قال أبو تمامَ:

وتكَفَّــلَ الأيتــامَ عــن آبــائِهم حتــىٰ وَدِدْنــا أَنَنــا أيتــامُ

٤- إنْظارُ المُعْسِرِ أو التجاوُزُ عنه:

جَاءَ فِي "صَحِيْح مُسْلِمٍ"(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ فضيلةٍ لمَنْ انتظر مُعْسِراً أي: أَمْهَلَهُ إلىٰ مَيْسَرَةٍ، أو وَضَعَ له أي: أَسْقَطَ عنه من دَينِهِ بعضَه، أو كُلَّهُ وسامَحَهُ، وقولُهُ: «**أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**» أي: ظِلٌّ يَخْلُقُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُظَلِّلُ من يُظِلُّهُم اللهُ تعالىٰ في ذلك اليومِ؛ لأنه ليس هناك ظِلُّ بناءٍ، ولا ظِلَّ شَجَرٍ، ولا ظِلَّ ثيابٍ، ولا ظِلَّ مصنوعاتٍ أبداً، ليس هناك إلا الظِّلَّ الذي يُيَسِّرُهُ اللهُ تعالىٰ للإنسانِ، يَخْلُقُ جَلَّ وَعَلَا ظِلاً مِنْ عندِهِ، واللهُ أعلمُ بكيفيتِهِ، ويُظَلِّلُ الإنسانَ(٢).

٥- الإنفاقُ على الجهادِ في سبيلِ الله:

جَاء فِي "الصَّحِيْحِيْنِ"(٣) مِنْ حَدِيْثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا**».

---

(١) رواهُ مسلمٌ (٣٠٠٦).

(٢) شرحُ رياضِ الصالحين لابنِ عُثَيمينَ (٣/ ٦٤٣).

(٣) رواهُ البخاريُّ (٢٨٤٣)، ومسلمٌ (١٨٩٥).

۞ **الشرحُ:**

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ من جَهَّزَ غازيًا فهيَّأَ له ما يَحْتاجُهُ في سفرِهِ وجِهادِهِ، وقامَ مقامَهُ في قضاءِ حاجاتِ أهلِهِ حالَ غَيْبَتِهِ فقد جاهَدَ أي: حَصَلَ له أجرُ الجهادِ وكفىٰ بذلك منقبةً(١).

لَيْـــتَ أَنَّـــا إذا ارْتحَلْـــتَ لـــكَ	الْخَيْـــلُ وأَنَّـــا إذا نَزَلْـــتَ الخِيَـــامُ
كُـــلُّ يَـــوْمٍ لَـــكَ احْتِمَـــالٌ جَدِيـــدٌ	وَمَســـيرٌ للمَجْـــدِ فيـــهِ مَقَـــامُ(٢)



(١) أوسمةُ المجاهِدِ للمؤِّلفِ (١١٩).

(٢) موسوعةُ الشعرِ الإسلاميِّ (١/ ١١١٨).



آفاتُ الصّدقة

١- الرياءُ:

جَاءَ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ"(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عمل عَمَلاً أَشْرَكَ فيه غَيْري، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»**.

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ الرياءُ مُحبِطٌ للعملِ الذي قارَنَهُ ولا يُعْتَدُّ به.

قال النوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

« قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: مَعْنَاهُ أنا غنيٌّ عَنِ الْمُشَارَكَةِ وَغَيْرِهَا فَمَنْ عَمِلَ شَيْئًا لِي وَلِغَيْرِي لَمْ أَقْبَلْهُ بَلْ أَتْرُكُهُ لِذَلِكَ الْغَيْرِ والمرادُ أَنَّ عَمَلَ المُرائيُ باطلٌ لاثوابَ فِيهِ وَيَأْثَمُ بِهِ »(٢).

ثَوْبُ الرِّياءِ يَشِفُّ عَمَّا تَحْتَهُ ... فَإذا التَحفْتَ بِهِ فإنّكَ عارِ(٣)

---

(١) رواهُ مسلمٌ (٢٩٨٥).

(٢) شرحُ النوويِّ علىٰ مسلمٍ (١٨/ ١١٥-١١٦).

(٣) ديوانُ التهاميِّ (٢٨١).

٢- إتباعُ الصَّدقاتِ بالمَنِّ والأذى:

جَاءَ فِي" صَحِيحِ مُسْلِمٍ"(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمَنَّانُ الَّذِي لا يُعْطِي شَيئًا إلا مَنَّهُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ».

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ المِنَّةَ من كبائِرِ الذنوبِ؛ لأنها سببُ الكبرِ والعُلُوِّ علىٰ الخَلْقِ، و تؤثرُ في الإخلاصِ، وتُسْخِنُ الصدورَ، وتُثْمِرُ الحِقْدَ ويُحْرَمُ صاحبُها من نعمةِ نظرِ اللهِ إليه، و كلامِهِ مَعَهُ.

فمَنْ حدَّثَتْهُ نفسُهُ بالمِنَّةِ عليهِ أن يَتَذَكَّرَ أَنَّ المنَّانَ هو اللهُ وحْدَهُ، والفَضْلُ فَضْلُهُ اختارَهُ له، وفَضْلُ مَنْحِهِ إِياه، و وَفَّقَهُ لِنَيْلِهِ، و جَعَلَ يَدَهُ العُليا، وشرحَ صُدْرَهُ للعطاءِ، وحَبَّبَ له الإحسانَ، وهذا أمرٌ يستحِقُّ الشكرَ، لا المَنَّ والأَذَىٰ.

كُــنْ فــاعِلاً لِلْخَيــرِ قَــوَّالاً لَــهُ ... فــالقَوْلُ مِثْــلُ الفِعْــلِ مُقْتَرِنَــانِ

فَــإذا فَعَلْــتَ الْخَيْــرَ لا تَمْــنُنْ بِــهِ ... لا خَيْــرَ في مُتَمَــدِّحٍ مَنَّــانِ(٢)

٣- التصدُّقُ بالشيءِ الرديءِ:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بيْرَحىٰ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا،

(١) رواهُ مسلمٌ (١٠٦).

(٢) القصائِدُ الزهدياتُ (١/ ١٦٢).

وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [سورة آل عمران:٩٢]، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَىٰ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ شِئْتَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَخْ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا، وَإِنِّي أَرَىٰ أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ**». فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ، وَبَنِي عَمِّهِ(١).

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ الصدقةَ من الشيءِ المحبوبِ سببٌ في دخولِ الجنةِ؛ لأنَّ قولَهُ تعالىٰ ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ أي: ثوابَهُ وهو الجنةُ. ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟﴾ أي: حتىٰ تَصَدَّقوا ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي: من أَحبِّ أموالِكم، كما فَهِمَ أبو طلحةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأقرَّهُ عليهِ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا بأْسَ من التوسُّطِ في الأمرِ لكنْ لا يَحْسُنُ ولا يَجْمُلُ أَنْ يَعْمَدَ الرجُلُ إلىٰ الشيءِ الرديءِ فيتصدَّقَ به فاللهُ طيبٌ لا يقبلُ إلا الطيبَ فكيفَ نتقرَّبُ إليه بالشيءِ الرديءِ؟ قالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [سورة البقرة:٢٦٧].

---

(١) رواهُ البخاريُّ (١٤٦١)، ومسلمٌ (٩٩٨).

قال ابنُ سعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يأمُرُ تعالىٰ عبادَهُ المؤمنين بالنفقةِ من طيباتِ ما يَسَّرَ لهم من المكاسِبِ، ومما أخرجَ لهم من الأرضِ فكما منَّ عليكم بتسهيلِ تحصيلِهِ فأنفِقوا منه شُكْرًا للهِ وأداءً لبعضِ حقوقِ إخوانِكم عليكم، وتطهيرًا لأموالِكم، واقصُدوا في تلك النفقةِ الطيبَ الذي تُحِبونَهُ لأنفسِكم، ولا تَيَمَّموا الرديءَ الذي لا ترغبونه ولا تَأْخذونه إلا علىٰ وَجْهِ الإغماضِ والمسامحةِ، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ فهو غنيٌّ عنكم ونَفْعُ صدقاتِكم وأعمالِكم عائدٌ إليكم، ومع هذا فهو حميدٌ علىٰ ما يأمرُكم به من الأوامِرِ الحميدةِ والخِصالِ السديدةِ، فعليكم أن تمتثِلوا أوامِرَهُ لأنها قُوتُ القلوبِ وحياةُ النفوسِ ونعيمُ الأرواحِ »[١].

أعطاك رَبُّك أَموالاً تنالُ بها ... بين الورىٰ من جميلِ الذِّكرِ آمالا
الرزقُ يأتيك والأعمارُ ذاهبةٌ ... أَنْفِق ولا تَخْشَ من ذي العرشِ إقْلالا[٢]

٤- احتقارُ شيءٍ مِنَ الصَّدقاتِ:

جَاءَ فِي "الصَّحِيْحِيْنِ"[٣] مِنْ حَدِيْثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**».

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ عظيمِ فضلِ الصدقةِ ؛ لأَنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنا أن نَتَّقِي النارَ ولو كان بِشِقِّ تمرةٍ أي بنصفِها قال القاضي عياضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: «**اتَّقُوا**

(١) تفسيرُ السعديِّ (١١٥).
(٢) خريدةُ القَصْرِ (٢/ ٢٧٤).
(٣) رواهُ البخاريُّ (١٤١٣)، و مسلمٌ (١٠١٦).

النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»: تحريضٌ على الصدقةِ، وأنه لا يُسْتَحْقَرُ منها شيءٌ وشِقُّ الشيءِ: نصفُهُ، ومعنىٰ الاستتارِ من النارِ فىٰ الحديثِ الآخَرِ: التَّوَقِّي منها »[١].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[٢].

قال القاضي عياضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: « فيه الحَضُّ علىٰ فعلِ الخيرِ، قلّ أو كَثُرَ، وألا تَحْقِرْ منه شيئًا، وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [سورة الزلزلة: ٧] »[٣].

إذا تكرَّمْتَ عَن بَذْلِ القليلِ ولَمْ ... تَقْدِرْ علىٰ سعةٍ لَمْ يَظْهَرِ الجودُ
بثَّ النوالَ وَلَا تَمْنَعْكَ قلَّتُهُ ... فكلُّ مَا سَدَّ فقرًا فَهُوَ محمودُ[٤]

٥- الرجوعُ في الصدقةِ:

جَاء فِي "الصَّحِيْحِيْنِ"[٥] عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ تَصَدَّقَ بِفَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَوَجَدَهُ يُبَاعُ فَأَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَهُ، ثُمَّ أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْمَرَهُ، فَقَالَ: «**لَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ**». وفي روايةٍ: «**لَا تَشْتَرِي، وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ، وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ، فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْئِهِ**».

---

(١) إكمالُ المعلمِ (٣/ ٥٣٩).

(٢) رواهُ مسلمٌ (٢٦٢٦).

(٣) المرجعُ السابقُ (٨/ ١٠٦).

(٤) الأمالي (٢/ ١٣٧) .

(٥) رواهُ البخاريُّ (٢٦٢٣)، مسلمٌ (١٦٢٠و١٦٢١).

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أنه مَنْ وَجَدَ صدقتَهُ تُباعُ فالأحوطُ ألَّا يشترِيْها؛ لأَنَّهُ يُشْبِهُ الاستردادَ.

قال الزرقانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « (قَالَ يَحْيَىٰ: سُئِلَ مَالِكٌ عَنْ رَجُلٍ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَوَجَدَهَا مَعَ غَيْرِ الَّذِي تَصَدَّقَ بِهَا عَلَيْهِ تُبَاعُ أَيَشْتَرِيهَا؟ فَقَالَ: تَرْكُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ) إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ اشْتِرَائِهَا مِنْ نَفْسِ مَنْ تَصَدَّقَ بِهَا عَلَيْهِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ فِي الْمَعْنَىٰ؛ لِرُجُوعِهِ فِيمَا تَرَكَهُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ »(١).

قال أُسْتَاذُنَا عَبْدَ الكريم العماد - حَفِظَهُ اللهُ -:

لا يَرْجِعُ الْمَرْءُ عَنْ شَيْءٍ يَجُودُ بِهِ ... فالغَيْثُ لم تَأتِ لاستردَادِهِ السُّحُبُ



(١) شرحُ الزَّرْقانِيِّ على المؤطَّأ (٢/ ٢١٣).



نبيُّنا محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرُ المُتصدِّقين

١- كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي عطاءً ما يَخافُ الفَقْرَ:

جَاءَ فِي "صَحِيْحِ مُسْلِمٍ"[(١)] مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَىٰ قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، أَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ».

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ ما كان عليه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجودِ والكَرَمِ، وجودُهُ وكرمُهُ كان من أسبابِ دخولِ الناسِ في دينِ اللهِ أفواجًا.

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: « كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ النَّاسِ صَدَقَةً بِمَا مَلَكَتْ يَدُهُ، وَكَانَ لَا يَسْتَكْثِرُ شَيْئًا أَعْطَاهُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَلَا يَسْتَقِلُّهُ، وَكَانَ لَا يَسْأَلُهُ أَحَدٌ شَيْئًا عِنْدَهُ إِلَّا أَعْطَاهُ، قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا، وَكَانَ عَطَاؤُهُ عَطَاءَ مَنْ لَا يَخَافُ الْفَقْرَ، وَكَانَ الْعَطَاءُ وَالصَّدَقَةُ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، وكان سُرُورُهُ وَفَرَحُهُ بِمَا يُعْطِيهِ أَعْظَمَ مِنْ سُرُورِ الْآخِذِ بِمَا يَأْخُذُهُ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، يَمِينُهُ كَالرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.

وَكَانَ إِذَا عَرَضَ لَهُ مُحْتَاجٌ آثَرَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، تَارَةً بِطَعَامِهِ، وَتَارَةً بِلِبَاسِهِ.

---

(١) رواهُ مسلمٌ (٢٣١٢).

وَكَانَ يُنَوِّعُ فِي أَصْنَافِ عَطَائِهِ وَصَدَقَتِهِ، فَتَارَةً بِالْهِبَةِ، وَتَارَةً بِالصَّدَقَةِ، وَتَارَةً بِالْهَدِيَّةِ، وَتَارَةً بِشِرَاءِ الشَّيْءِ ثُمَّ يُعْطِي الْبَائِعَ الثَّمَنَ وَالسِّلْعَةَ جَمِيعًا، كَمَا فَعَلَ بِبَعِيرِ جَابِرٍ.

وَتَارَةً كَانَ يَقْتَرِضُ الشَّيْءَ فَيَرُدُّ أَكْثَرَ مِنْهُ وَأَفْضَلَ وَأَكْبَرَ، وَيَشْتَرِي الشَّيْءَ فَيُعْطِي أَكْثَرَ مِنْ ثَمَنِهِ، وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُكَافِئُ عَلَيْهَا بِأَكْثَرَ مِنْهَا أَوْ بِأَضْعَافِهَا، تَلَطُّفًا وَتَنَوُّعًا فِي ضُرُوبِ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَكَانَتْ صَدَقَتُهُ وَإِحْسَانُهُ بِمَا يَمْلِكُهُ وَبِحَالِهِ وَبِقَوْلِهِ، فَيُخْرِجُ مَا عِنْدَهُ، وَيَأْمُرُ بِالصَّدَقَةِ، وَيَحُضُّ عَلَيْهَا، وَيَدْعُو إِلَيْهَا بِحَالِهِ وَقَوْلِهِ، فَإِذَا رَآهُ الْبَخِيلُ الشَّحِيحُ دَعَاهُ حَالُهُ إِلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ، وَكَانَ مَنْ خَالَطَهُ وَصَحِبَهُ وَرَأَىٰ هَدْيَهُ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ مِنَ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَىٰ.

أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ ... بِالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالبِشْرِ مُتَّسِمِ
كَالزَّهرِ فِي تَرَفٍ، وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ ... وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ، وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ »[1]

٢- كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ:

جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ[٣] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

---

(١) زادُ المَعادِ (٢/ ٢١).

(٢) العَسَلُ المصفَّىٰ من سيرةِ المصطفىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٦) للمؤلفِ.

(٣) رواهُ البخاريُّ (٦)، ومسلمٌ (٢٣٠٨).

۞ **الشرحُ:**

دَلَّ الحديثُ علىٰ ما كان عليه النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجودِ والكَرَمِ، وقولُهُ: «أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» أي: المُطْلَقَةِ، يعني: أنه في الإسراعِ بالجودِ أسرعُ من الريحِ. وعَبَّرَ بالمرسلةِ إشارةً إلىٰ دوامِ هبوبِها بالرحمةِ، وإلىٰ عمومِ النَّفْعِ بجودِهِ كما تَعُمُّ الريحُ جميعَ ما تَهُبُّ عليه

قال النوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَوَائِدُ مِنْهَا بَيَانُ عِظَمِ جُودِهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْهَا اسْتِحْبَابُ إِكْثَارِ الْجُودِ فِي رَمَضَانَ وَمِنْهَا زِيَادَةُ الْجُودِ وَالْخَيْرِ عِنْدَ مُلَاقَاةِ الصَّالِحِينَ وَعَقِبَ فِرَاقِهِمْ لِلتَّأَثُّرِ بِلِقَائِهِمْ وَمِنْهَا استحبابُ مُدارسَةِ القرآنِ »[١].

قال أستاذُنا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

مَـــنْ مِثْـــلُ أحْمَـــدَ فِـــي المُـــرُو ... ءَةِ وَالكَرَامَـــــةِ وَالمَكَانَـــــةْ؟!

جَمَـــــعَ المَكَـــــارِمَ رَبُـــــهُ ... فِيْـــــهِ، وَأَيَّـــــدَهُ وَصَـــــانَهْ[٢]

٣- كَانَ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجودَ النّاس:

جَاءَ فِي الصَّحِيْحِينِ[٣] مِنْ حَدِيْثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ. وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَانْطَلَقُوا قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَىٰ الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَىٰ فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ،

---

(١) المنهاجُ (١٥/ ٦٩).

(٢) العسلُ المُصَفَّىٰ من سيرةِ المصطفىٰ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٧) للمؤلفِ.

(٣) رواه البخاري (٢٨٢٠)، ومسلم (٢٣٠٧).

وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَنْ تُرَاعُوا**» يَرُدُّهُمْ، ثُمَّ قَالَ: لِلْفَرَسِ «**وَجَدْنَاهُ بَحْرًا**» أَوْ «**إِنَّهُ لَبَحْرٌ**» قَالَ حَمَّادٌ: وَحَدَّثَنِي ثَابِتٌ أَوْ غَيْرُهُ قَالَ: «كَانَ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ يُبَطَّأُ فَمَا سُبِقَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ».

الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أجودَ الناسِ بكُلِّ خيرٍ من خَيْرَيْ الدنيا والآخرةِ للهِ وفي اللهِ مِنْ بَذْلِ العلمِ، والمالِ وبَذْلِ نفسِهِ لإظهارِ الدينِ، وهدايةِ العبادِ وإيصالِ النفعِ لهم بكلِّ طريقٍ وقضاءِ حوائِجِهِمْ بكلِّ سَبيلٍ.

قال أُسْتَاذُنَا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

يَـا أَرْفَـعَ النَّـاسِ نُـبْلاً ... وَأَعْـرَقَ النَّـاسِ أَصْـلا
قَـدْ زَادَكَ اللهُ مَجْـداً ... فَكُنْـتَ لِلْـوَحْيِ أَهْـلا
فَأَشْـرَقَ الحَـقُّ نُـورًا ... يَمْحُـو ظَلامـًا وَجَهْـلا[1]

٤- ازدحامُ الناسِ عليهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنوالِهِ:

جَاءَ فِي الصَّحِيْحِنِ[2] مِنْ حَدِيْثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ النَّاسُ، مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّىٰ اضْطَرُّوهُ إِلَىٰ سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذُوبًا وَلاَ جَبَانًا**».

---

(١) العسلُ المصَفَّىٰ من سيرةِ المصطفىٰ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢٣) للمؤلفِ.

(٢) رواهُ البخاريُّ (٢٦٦٦).

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ ما كان عليه النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من الكرمِ، فإنَّ الأعرابَ لمَّا طَفِقُوا يسألونَهُ حتىٰ أَلْجَؤوهُ إلىٰ سَمُرَةٍ وهي شجرةُ الطلحِ، فخُطِفَتْ رِداءَهُ، فوقَفَ فقال في لطفٍ أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاة نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذُوبًا وَلاَ جَبَانًا

قال ابنُ بطالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وفي حديثِ جبيرٍ أنه لا بأْسَ للرجُلِ الفاضِلِ أن يُخْبَرَ عن نفسِهِ بما فيه من الخِلالِ الشريفةِ عندما يَخَافُ من سوءِ ظَنِّ أهلِ الجهالةِ به. وفيه أَنَّ البُخْلَ والجُبْنَ والكَذِبَ من الخِلالِ المذمومةِ التىٰ لا تصلُحُ أن تكونَ فىٰ رؤساءِ الناسِ »[١].

نبـيٌّ حبَـا عَـدْنَانَ فَضْـلاً وَسُـؤْدُدَاً ... فَعَمَّـتْ جَمِيْـعَ الْعَـالَمِيْنَ مَوَاهِبُـهُ
أَخُـو هِمَـمٍ لا يُـدْرِكُ الـدَّهْرُ شَـأْوَهَا ... وَيَجْهَلُهَـــا أَعْـــدَاؤُهُ وَ أَقَارِبُـــهْ[٢]

٥- مُبادَرَتُه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالصَّدَقَة:

جَاء فِي"الصَّحِيْحِيْنِ"مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا يَسُرُّنِي أَنْ لَا يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثٌ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ، إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ**»[٣].

---

(١) شرحُ صحيح البخاريِّ (٥/ ٣٤).

(٢) العَسَلُ المُصَفَّىٰ من سيرة المصطفىٰ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ (١٩) للمؤلفِ.

(٣) رواهُ البخاريُّ (٢٣٨٩)، ومسلمٌ (٩٩١).

۞ **الشرحُ:**

حَثَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديثِ على المبادرةِ بالصدقةِ بحالِهِ لِيَقْتَدِيَ بِهِ مَنْ بَعدَهُ.

قال ابنُ الملقنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: « في هذا الحديثِ أَنَّ المؤمنَ لا ينبغي له أن يتمنَّىٰ كثرةَ المالِ، إلا بشريطةِ أن يُسَلِّطَهُ اللهُ تعالىٰ علىٰ إنفاقِهِ في طاعتِهِ اقتداءً بالشارِعِ في ذلك.

وفيه: أن المبادرةَ إلىٰ الطاعةِ مطلوبةٌ، وهي أفضلُ من التواني فيها.

ألا ترىٰ أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يُحِبَّ أَنْ يبقىٰ عنده من مقدارِ جبلِ أُحُدٍ ذهبًا لو كان بعدَ ثلاثٍ إلا دينارٌ يُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ؟

وفيه: أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يكونُ عليهِ الدَّيْنُ، لكثرةِ مواساتِهِ بِقُوْتِهِ وقُوْتِ عيالِهِ وإيثارِهِ علىٰ نفسِهِ أهلَ الرِّضَا والحاجةِ، والرِّضَا بالقليلِ والصَّبْرِ علىٰ خشونةِ العَيْشِ، وهذهِ سيرةُ الأنبياءِ والصَّالحينَ »[١].

أضاءَتْ بِكَ الدُّنْيَا فَعِشْتَ مُمَجَّدا ... وَغِبْتَ عَنِ الدُّنْيَا وَمَا زِلْتَ سَيِّدا
عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ فِي كُلِّ خَفْقَةٍ ... فَقَدْ مَاتَتْ الأَسْمَاءُ إلا مُحَمَّدا[٢]

٦- صَبْرُهُ على جفاءِ السَّائِلينَ:

جَاءَ فِي "صَحِيح مُسلمٍ"[٣] من حَدِيثِ أَنَسِ بنِ مَالكٍ قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيهِ رِدَاءٌ نجرانيٌّ غليظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ

(١) التوضيحُ لشرحِ الجامعِ الصحيحِ (٢٩/ ٤٤٩).

(٢) العَسَلُ المُصَفَّىٰ من سيرةِ المُصْطَفَىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤٥٦) للمؤلفِ.

(٣) رواهُ مسلمٌ (١٠٥٧).

بردائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً - نَظَرْتُ إِلَىٰ صفحةِ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقد أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ من شِدَّةِ جَبْذَتِهِ - ثمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لي من مَالِ اللهِ الَّذِي عنْدك. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ، ثمَّ أَمرَ لَهُ بعَطاءٍ»

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ حُسْنِ خُلُقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصبرِهِ علىٰ سُوْءِ أَدبِ هذا الأَعرابيِّ الجافِي، وحِلْمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه عَفَا عن جِنايتِهِ عليه، وزادَ علىٰ العفوِ بالبِشْرِ والعطاءِ.

قال الشاعرُ:

بَشَاشَةُ وَجْهِ المَرْءِ خيرٌ من القِرَىٰ ... فكيفَ بِمَنْ يأتي به وهو ضاحِكُ(١)

وقال أستاذُنا عبد الكريم العماد - حفظَهُ اللهُ -:

مَـنْ ذا كَمِثْلِـكَ - ياحَبِيْبَ اللهِ - إن ... ذُكِرَ الأَحَبُّ تَلاشَتِ الأَحْبَابُ

حُـزْتَ الفَضَائِلَ كُلَّهَا، فَتَعَدَّدَتْ ... لَـكَ إثْرَهَا الأَسْمَاءُ والأَلْقَابُ(٢)



(١) مجانِي الأَدَبِ (٣/ ١٤٨).

(٢) العَسَلُ المصفَّىٰ من سيرةِ المصطفىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٩) للمؤلفِ.



صُوَرٌ من جُودِ السَّلَفِ

١- جودُ أبي بكرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

جَاءَ فِي سُنَنِ أَبِي داود بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ[١] عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ، إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**». قُلْتُ: مِثْلَهُ.

قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**». قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ.

قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَىٰ شَيْءٍ أَبَدًا.

۞ الشرحُ:

دَلَّ الحديثُ علىٰ ما كان عليه الصِّدِّيْقُ والفاروقُ من المسارعةِ في الخيراتِ.

فقولُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي فَفَرِحَ بذلك**»؛ لأَنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا إلىٰ الصدقةِ في وقتٍ مناسبٍ وهو وُجودُ المالِ، و كان يعلَمُ أَنَّ أبا بكرٍ سَبَّاقٌ لا يُنَافَسُ دَلَّ علىٰ ذلك قولُهُ في نفسِهِ: «**الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ**» فلمَّا جاء عُمَرُ بما جاءَ به

---

(١) أخرجَهُ أبو داودَ (١٦٧٨)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في "صحيحِ أبي داودَ (١٤٧٢).

قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟». قُلْتُ: مِثْلَهُ. قَالَ: وَأَتَىٰ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟». قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ.

أي: أبقيتُ لهم ما يُرْضِي اللهَ ورسولَهُ، فقال عُمَرُ أي في نفسِهِ: «لَا أُسَابِقُكَ إِلَىٰ شَيْءٍ» من الفضائِلِ«أَبَدًا» لأنه إذا عَجَزَ عن مغالبتِهِ عند وجودِ المالِ فلَنْ يَقْدِرَ عند عَدَمِهِ.

لَقَدْ دَرَجَ الأَسْلَافُ مِن قَبْلِ هَؤُلَا ... وَهِمَّتُهم نَيْلُ المكَارِمِ وَالفَضْلِ

وَقَدْ رَفَضُوا الدُّنْيَا الغَرُورَ وَمَا سَعَوا ... لهَا وَالذِي يَأْتِي يُبَادِرُ بِالبَذْلِ

فَقِيرُهُمْ حُرٌّ وَذُو المَالِ مُنْفِقٌ ... رَجَاءَ ثَوَابِ اللهِ فِي صَالِحِ السُّبْلِ

لِبَاسُهُم التَّقْوَىٰ وَسِيمَاهُم الحَيَا ... وَقَصْدُهُمُ الرَّحْمَنُ فِي القَوْلِ وَالفِعْلِ

مَقَالُهُم صِدْقٌ وَأَفْعَالُهُم هُدىً ... وَأَسْرَارُهُم مَنْزُوعَةُ الغِشِّ وَالغِلِّ

خُضُوعٌ لِمَولَاهُمْ مُثُولٌ لِوَجْهِهِ ... قُنُوتٌ لَهُ سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنْ مِثْلِ(١)

٢- جودُ عائشةَ وأسماءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أخرجَ البُخَارِيُّ في "الأدبِ المفردِ" عَنْ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ما رأيتُ امْرأَتَيْنِ أجودَ من عائشةَ وأسماءَ، وجودُهما مختلفٌ، أما عائشةُ فكانت تجمَعُ الشيءَ إلىٰ الشيءِ، حتىٰ إذا اجتمعَ عندها قَسَمَتْ، وأما أسماءُ فكانت لا تُمْسِكُ شيئًا لِغَدٍ»(٢).

---

(١) القصائدُ الزهدياتُ (١/ ٣٥٨).

(٢) أخرجَهُ البخاريُّ في الأدبِ المُفْرَدِ (٢١٤)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في "صحيحِ الأدبِ المفردِ" (٢٨٠).

❁ **الشرحُ:**

قولُه: «ما رأيتُ امْرأتينِ أجودَ من عائشةَ وأسماءَ، وجودُهما مختلفٌ».

قال العلماءُ: « فيه التَّحَدُّثُ عن الصالحين للاقتداءِ بأعمالِهم الصالحةِ »(١).

وقولُهُ: «أما عائشةُ فكانت تَجْمَعُ الشيءَ إلىٰ الشيءِ، حتىٰ إذا اجتمعَ عندَها قَسَمَتْ».

قال العلماءُ: « رَأَتْ عائشةُ أَنَّ القليلَ لا يُمْكِنُ قِسْمَتُهُ بين مَنْ يتطلَّعُ إلىٰ عطائِهِ لكثرتِهم. وإِنْ أَعْطَتْهُ بعضَهم رُبَّما يَحْزَنُ الآخرون، وأنها إذا قَسَمَتْهُ بين جماعةٍ لم يَقَعْ لِكلِّ منهم إلا النَّزْرُ اليسيرُ الذي لا يَقَعُ موقعًا من حاجتِهِ، فاخْتارتْ أَنْ يجتمعَ المالُ عندها بنيةِ أن تَتَصَدَّقَ به، فإذا اجتمع ما تراهُ كافيًا قَسَمَتْهُ، فنال كُلُّ واحدٍ من المستحِقّين نصيبًا له قَدْرٌ، فيكونُ ذلكَ أَنْفَعَ لهم »(٢).

وقولُهُ: «وأما أسماءُ فكانت لا تُمْسِكُ شيئًا لِغَدٍ»؛ لأَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها كما في "صحيحِ البخاريِّ"(٣) «**أنْفِقِي ولا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللهُ عليك، ولا تُوعي فَيُوعِيَ اللهُ عليك**».

« فرأَتْ أَنَّ الجَمْعَ - ولو بنيةِ أَنْ تَتَصَدَّقَ به - داخلٌ في جملةِ الإيعاءِ والإيكاءِ فِكْلتاهما تَحَرَّتا الخيرَ »(٤).

---

(١) شرحُ الأدبِ المفردِ للعوايشةِ (١/ ٣٦٠).

(٢) الفضلُ (١/ ٣٧١).

(٣) رواهُ البخاريُّ (١٤٣٣).

(٤) شرحُ الأدبِ المُفْرَدِ للعوايشةِ (١/ ٣٦١).

لا تنفــقُ الــنفسُ إلا مــن جِبِلَّتِهــا ... والفضلُ في النفسِ ليس المالِ يؤتَثَـلُ

عقائـــلُ المـــالِ تؤتاهـــا وتُنْزَعُهـــا ... ومــا عقليــةُ فضــلِ الــنفسِ تَنْتَقِــلُ



فهرس الكتاب